# قاعدة في
# أنواع الاستفتاح
## في الصلوة
## وأنواع الأذكار مطلقًا

صحيفة ذهبيَّة ممتلئة علمًا وإيمانًا وحكمة
وتحقيقًا وجلاءً للإفهام وشرحًا للصدور

لشيخ الإسلام أبي العبّاس أحمد بن تيميّة

صحّحها وعلّق عليها
**عبد الصمد شرف الدين**

ويليها : مطالب سورة البقرة إجمالًا

دار ابن القيم

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الثانية
١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

قاعدة في

# أنواع الاستفتاح

في الصلاة

وأنواع الأذكار مطلقًا

بسم الله الرحمن الرحيم

هاتف : ٨٢٦٨٣٤٣ ـ ص.ب : ١٨٦٥ ـ الدمام ـ رمز بريدي : ٣١٩٨٢ ـ الدمام ـ جنوب الاستاد الرياضي ـ المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

# كلمة التصحيح

الحمد لله الذى له الحمد فى الأولى والآخرة ، لا نعبد إلّا إيّاه ، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن ، لا إله إلّا هو مخلصين له الدين ولو كره الكافرون. ونشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله خاتم النبيّين ، صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما كثيرًا كثيرًا ، دائما أبدا بكرة وأصيلا .

## المصنّف

أمّا بعد ، فهذه رسالة أنيقة لآية من آيات الدهر ، وحجّة من حجج الله فى الأرض ، شيخ الإسلام أحمد ابن تيميّة الحرّانى المتوفّى سنة ٧٢٨ﻫ . فممّا حكى عنه تلميذه الرشيد الحافظ ابن عبد الهادى المقدسىّ فى ترجمة شيخه المعروفة بـ«العقود الدرّيّة من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيميّة» ، طبعة مصر ، سنة ١٣٥٦ ، ص ٤ :

واتّفق أنّ بعض مشايخ العلماء بحلب قدم إلى دمشق وقال : سمعت فى البلاد بصبىّ يقال له أحمد بن تيميّة ، وأنّه سريع الحفظ . وقد جئتُ قاصدا لعلّى أراه . فقال له خيّاطٌ : هذه طريق كُتّابه ( أى مدرسته ) وهو إلى الآن ما جاء ، فاقعدْ عندنا الساعةَ يجىء يعبر علينا ذاهبًا إلى الكُتّاب . فجلس الشيخ الحلبىّ قليلا ، فمرّ صبيان ، فقال الخيّاط للحلبىّ : هذاك الصبىّ الذى معه اللوح الكبير هو أحمد بن تيميّة . فناداه الشيخ ، فجاء إليه . فتناول الشيخ اللوح فنظر فيه ، ثمّ قال : يا ولدى ، امسح هذا حتى أملى عليك شيئا تكتبه . ففعل . فأملى عليه من متون الأحاديث أحد عشر أو ثلاثة عشر حديثا وقال له : اقرأ هذا . فلم يزد على أن تأمّله مرّة بعد كتابته إيّاه ، ثم دفعه إليه وقال : اسمعْه علىّ . فقرأه عليه عرضاً كأحسن ما أنت سامع .

فقال له : يا ولدى ، امسح هذا . ففعل . فأملى عليه عدّة أسانيد انتخبها ثم

قال: اقرأ هذا. فنظر فيه كما فعل أوّل مرّة. فقام الشيخ وهو يقول: إن عاش هذا الصبيّ ليكونن له شأن عظيم، فإنّ هذا لم يُر مثله، أو كما قال» اهـ.

قلت: وصدق الشيخ الحلبيّ، فنبغ ذاك الصبيّ حتّى أصبح «شيخ الإسلام ابن تيميّة»، فملأ الدنيا بعلمه وتصانيفه. وهو جدير بأن يُسمّى «مجدّد القرن الثامن» بمعنى الكلمة، فإنّه جدّد الإسلام لهذه الأمّة بعد أن نقّاه ممّا تراكم عليه من البدع المضلّة والآراء الباطلة طوال قرون متوالية.

وقال في ص ٥ منها: وقال بعض قدماء أصحاب شيخنا ــ وقد ذكر نبذة من سيرته:

«أمّا مبدأ أمره ونشأته، فقد نشأ من حين نشأ في حجور العلماء، راشفًا كؤوس الفهم، راتعًا في رياض التفقّه ودوحات الكتب الجامعة لكلّ فنّ من الفنون، لا يلوى إلى غير المطالعة والاشتغال، والأخذ بمعالي الأمور، خصوصًا علم الكتاب العزيز والسنّة النبويّة ولوازمها. ولم يزل على ذلك خلفًا صالحًا، سلفيًّا متألّها عن الدنيا، صيّنًا تقيًّا، برّاً بأمّه، ورعًا عفيفًا، عابداً ناسكاً، صوّامًا قوّامًا، ذاكراً لله تعالى في كلّ أمر وعلى كلّ حال، رجّاعًا إلى الله تعالى في سائر الأحوال والقضايا، وقّافًا عند حدود الله تعالى وأوامره ونواهيه، آمراً بالمعروف، ناهيًا عن المنكر. لا تكاد نفسه تشبع من العلم، ولا تروى من المطالعة، ولا تملّ من الاشتغال، ولا تكلّ من البحث. وقلّ أن يدخل في علم من العلوم من باب من أبوابه إلاّ ويُفتح له من ذلك الباب أبواب، ويستدرك مستدركات في ذلك العلم على حُذّاق أهله. مقصوده الكتاب والسنّة.

«ولقد سمعته في مبادئ أمره يقول: إنّه ليقف خاطري في المسألة والشيء أو الحالة التي تشكل عليّ، فأستغفر الله تعالى ألف مرّة أو أكثر أو أقلّ، حتى ينشرح الصدر وينحلّ إشكال ما أشكل. قال: وأكون إذ ذاك في السوق، أو المسجد، أو الدرب، أو المدرسة، لا يمنعني ذلك من الذكر والاستغفار إلى أن أنال مطلوبي».

قال هذا الصاحب: «ولقد كنت في تلك المدّة وأوّل النشأة إذا اجتمعتُ به في ختمه أو مجلس ذكر خاصّ مع أحد المشايخ المذكورين، وتذاكروا وتكلّم ــ مع حداثة سنّه ــ أجد لكلامه صَولة على القلوب، وتأثيراً في النفوس، وهيبة مقبولة، ونفعًا يظهر أثره وتنفعل له النفوس التي سمعته أيّامًا كثيرة بعقبه، حتّى كان مقالُه بلسان حاله وحاله ظاهر في مقاله. شهدت ذلك منه غير مرّة».

# الكتاب

ذكر الشيخ ابن عبد الهادى فى «العقود الدرّيّة» نحو ٣٦٥ مصنّفا للشيخ ما بين الكبير والصغير، ثم قال: «وله من الأجوبة والقواعد شىء كثير غير ما تقدّم ذكره يشق ضبطه وإحصاؤه، ويعسر حصره واستقصاؤه» (ص ٦٤). وقال فى أثناء فهرس مؤلّفاته: «وله قواعد كثيرة فى سائر أنواع العلوم، منها قاعدة فى الصفات والقدر... إلخ» وعدّ أسماء ١٤٨ قاعدة. وذكر فى ضمن تلك القواعد «وقاعدة فى الاستفتاحات فى الصلوة»، وهى التى نقدّمها اليوم للقرّاء الكرام.

عثرت على هذه الرسالة الصغيرة الحجم العظيمة المنفعة ضمن بعض مجلّدات «الكواكب الدراريّ فى ترتيب مسند الإمام أحمد على أبواب البخاريّ» لابن عروة الحنبلى وأنا أبحث عن أجزاء التفسير للمصنّف. وكان ذلك أثناء رحلتى المصريّة عام ١٣٦٩ هـ فى خزانة دار الكتب المصريّة ـ عمّرها الله تعالى. فقد وجدت اسمها ثابتًا على لوحة المجلّد الخامس من «الكواكب» هكذا: «رسالة فى أنواع الاستفتاح فى الصلوة للشيخ التقىّ ـ ٥ أوراق». نقلتها إذ ذاك بخطّى، وقد وفّقنى الله تعالى اليوم لطبعها.

بدأ المصنّف بفصل طويل ـ كالمقدّمة للكتاب ـ بحث فيه عن الأذكار مطلقًا، ونوّعها ثلاثة أنواع. فذكر فى مقدّمتها القسم المشتمل على أنواع من الثناء على الله وضروب من محض ذكره تعالى، كالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير. ثمّ قابل هذا النوع بأدنى الأنواع، وهو ما اشتمل عليه من سائر الأدعية وسؤال العبد ربّه شتّى مطالب الدنيا والآخرة، عاجلاً وآجلا. وبيّن وجه تقديم مجرّد الذكر والثناء على الدعاء والسؤال من وجوه عديدة، مستدلًّا عليه بالحديث القدسىّ «من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين»، ويكون الدعاء مقرونًا بالثناء من غير عكس، ويكون الثناء متعلّقا بالربّ والدعاء بالعبد،

وباشتراك المؤمن والكافر فى السؤال دون الثناء، وغير ذلك. ثم ذكر النوع الثالث، وهو ما يتعلّق بإخبار الإنسان بعبادته لله تعالى، وجعله النوع المتوسّط بين النوعين المذكورَيْن، بكونه أفضل من الدعاء ودون الثناء.

وفى الفصل الثانى تكلّم على الشهادتين، والصلوة على النبىّ صلّى الله عليه وسلم، والحمد، والبسملة، والتكبير. وبيّن المواضع المشروع فيها هذه الأذكار من الصلوة، والأذان، والخطب، والتشهّد، واقتران بعض منها مع بعض، وتقديم بعضها على بعض. وأتى فى ذلك بجوامع العلم ومجامع الحكم توضّح لنا محاسن الشريعة الغرّاء، وتزيدنا علما بمعانيها وأسرارها، وتشرح صدورنا إيمانًا وإيقانا.

وقد خصّ الفصل الثالث بالكلام على أنواع الاستفتاح فى الصلوة، وهو نفس موضوع الكتاب. فأشار إلى أهمّ ما ورد فيه وقسّمه إلى ثلاثة أنواع كما قسّم جنس الأذكار أوّلا سواءً بسواء. وبيّن مراتب كلّ منها مقدّمًا ما اشتمل على الثناء والحمد على غيره، ثمّ الذى فيه إخبار العبد عن عبادته لله، ثمّ ما كان دعاء محضًا. وقد أورد على هذا الترتيب اعتراض المعترض أنّه عكس الترتيب من حيث علوّ الأسانيد، ثمّ أجاب عن ذلك بما شفى وكفى. واستدلّ فى ذلك بدلائل عقليّة ونقليّة يعرف قدرها من استقلّ بالفهم، وارتفع عن حيّز التقليد ونظر بعين الإنصاف. ومعلوم أنّ صيَغ الاستفتاح قد تنوّعت واختلف فى ذلك اختيار الأئمّة. ويحسن ههنا إذا طالع القارئ ما كتبه المصنّف ــ رحمه الله ــ فى جوابه عن «مسألة فى استفتاح الصلوة، هل هو واجب أو مستحبّ، وما قول العلماء فى ذلك» من «فتاويه» المطبوعة بمصر، ج ١، ص ٧٣. فإنّه ــ مع وجازته ــ يزيد القارئ إيضاحًا من وجهة أخرى.

واشتمل الفصل الرابع على المواضع المشروع فيها التكبير والتحميد والتشهد، وبيان مناسباتها: مثل كون التكبير مشروعًا فى الأماكن العالية، واقتران الشهادتين بالحمد تارة وبالتكبير أخرى، وبيان وجه تقديم الحمد على التشهّد، وبقاء الحمد فى الجنّة بخلاف العبادات العمليّة، إلخ.

وختم الرسالة بفصل بديع فى عظم شأن الدعاء الذى اشتملت عليه أمّ الكتاب. وفى ضمنه أسرار وفوائد قيّمة تعرّفنا قدر هذا الدعاء فوق كلّ مطلوب. ويتبيّن لنا كيف

تضمّن سؤال الهداية إلى الصراط المستقيم حصول الرزق والنصر بدون التعرّض لسؤالهما. فإنّ من هُدى إلى الصراط المستقيم فلا بدّ أن يكون من المتّقين المنصورين الغالبين، وهم الذين قد ضمّنهم الله الرزق والنصر والغلبة.

ثم إنّ الرزق والنصر مطلوبان للإنسان فى هذه الحيوة الفانية فحسب. وأمّا الهداية فإنّها توصله إلى سعادته الأبديّة الباقية بعد الموت، وتوجب له دخول الجنّة يُرزقون فيها بغير حساب، والله يهدى من يشاء إلى صراطه المستقيم.

وفى ذلك بيان شافٍ لحلّ أعظم مسألة لا تزال تعرض للإنسان منذ خلق، ألا وهى المسألة الاقتصاديّة المعاشيّة. فنجد أنّها تستغرق أفكار معظم أفراد البشر فى شتّى معتركات الحيوة بحيث أصبحت أكبر همّهم ومبلغ علمهم. نرى كأنّها هى المسألة الوحيدة التى لأجلها يعيش الإنسان ويموت، وكأنّه لم يخلق لشىء سواها — سواء فيها الأفراد والجماعات. وهى الهدف الأعظم اليوم فى جميع سياسيّات الدول العظمى والصغرى شرقًا وغربًا، وفى مقاصد حكوماتها وأنظمة تعاليمها وطرق معايشها. ومع ذلك تعذّرت عليهم أشدّ التعذّر، بل صارت أقوى الأسباب لكلّ ما نرى من المعارك العنيفة، والنزاعات الدوليّة، والاعتداءات الغاشمة، والحروب العالميّة، ونقض الأمن وفقدان السلام فى العالم اليوم، بل وسابقًا ولاحقًا.

ومع هذا كلّه فقد حلّ القرآن تلك المسألة المُعيية حلا سهلا مرضيًا بكلمة واحدة، وهى كلمة «التقوى» المضمونة لكلّ من هُدى للصراط المستقيم. فقد تكفّل ربّ العالمين بالرزق الهنيّ اللذيّ لجميع العالمين — أفرادهم وأممهم — بقيامهم بتقوى الله. فقد أعرب القرآن بهذه الحقيقة بكمال الصراحة وتمام الفصاحة حيث لا يدع مجالًا لأدنى شكّ ولا ارتياب. فقال فى حقّ الفرد ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ — [الطلاق ٦٥ : ٢-٣]، وفى حقّ الجماعات ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ — [الأعراف ٧ : ٩٦]. أفليس يكفينا كتاب الله، ومن أصدق من الله حديثا؟ هذه جمل شرطيّة، ومعلوم أنّ الجزاء لا يتخلّف عن الشرط. فقد ناط الله سبحانه الرزق وفتح بركاته بالإيمان به وبالتقوى.

وفى هذا كفاية لنا وللناس ما يغنى عن ألوف مؤلّفات الاقتصاديّين العصريّين، وشتّى نظريّاتهم المتضاربة العويصة ــ لو كانوا يعلمون. ولكنّنا تركنا هذه الحقائق الظاهرة الواضحة ونسيناها ــ نَسُوا اللهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُم. وإنّما طريق التقوى تستدعى إيمانًا كاملًا وعمل الصالحات، ورسوخًا تامًّا فى التوحيد العلمىّ والإرادىّ، وعلم يقين بالآخرة العظيمة المُقبلة ــ جعانا الله من أبنائها، وجنّبنا أن نكون من خالصى أبناء الدنيا.

سيظهر من هذا التعريف بالكتاب جلالة قدره شأنَ جميع تصانيف هذا المصنّف الباهر. وما هذه الرسالة أكثر من ٤٣ صفحة مع ما فيها من الهوامش، ولكنّ كلّ صفحة منها تحتوى على أسرار الشريعة وحقائق الإيمان ما هو جدير بأن يكتب بماء الذهب. ونحمد الله على تيسيره لنا العثور عليها من بواطن الأسفار المخزونة المكنونة، ثمّ على توفيقه لإبرازها فى قالب الطباعة لأوّل مرّة، فهو المرجوّ المسئول أن يهدينا ومن يقرأها أن ننتفع بمعالى علوم كاتبها ــ جزاه الله عنّا أحسن الجزاء ما قرأها قارئ جزاءً غير منقطع، وهكذا جزاء العلم والتعليم ــ جعلنا الله من حامليه والعاملين به ــ آمين.

هذا وينقص طباعة رسالة «أنواع الاستفتاح» هذه فهرسٌ مرتّب على حروف الهجاء لأهمّ مواضيعها التى بُحث عنها. فإنّه لا يكمل الانتفاع بالكتاب بدون مثل هذا الفهرس. ولعلّ الله أن يوفّقنا لعمله وإلحاقه بآخر الكتاب، وإن لم يتيسّر ذلك إلى حين كتابة هذه الأسطر. وما ذلك على الله بعزيز.

وأردفناها بمقالة وجيزة على «بعض ما اشتملت عليه سورة البقرة من تقرير أصول العلم وقواعد الدين» لبعض الفضلاء. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

كتبه عبده العاجز
عبد الصمد شرف الدين

## قاعدة فى أنواع الاستفتاح

قال الشيخ الصالح أبو الحسن على بن حسين بن عروة المشرقى ثم الدمشقى الحنبلى المعروف بابن زكنون المتوفّى سنة ٨٣٧ هـ فى المجلّد الثامن والثمانين من كتابه « الكواكب الدرارى فى ترتيب مسند الإمام أحمد على أبواب البخارى » :[1]

قوله تعالى ﴿ والذين اسْتَجَابُوا لربّهم وأَقَاموا الصَّلَوةَ وأمرُهم شُورى بينهم ومِمّا رزقناهم ينفقون ﴾ ـ [الشورى ٤٢ : ٣٨] . ... ولنذكر هنا شيئاً يتعلّق بقوله ﴿ وَأَقَامُوا الصَّلَوةَ ﴾ .

قال شيخ الإسلام أبو العباس تقىّ الدين ابن تيميّة :

---

١ ـ قال العلّامة السخاوى عن هذا الكتاب إنّه ترتيب المسند على أبواب البخارى ، وشرحه فى مائة وعشرين مجلدا . طريقته فيه أنّه ... إذا مرّت به مسئلة فيه تصنيف مفرد لابن القيّم أو شيخه ابن تيميّة أو غيرهما وضعه بتمامه ويستوفى ذلك الباب من « المغنى » لابن قدامة ونحوه ـ اه . وسمّاه بعض الفضلاء « خزانة كتب الحنابلة » .

# الفصل الأول

## انقسام الأذكار إلى الثناء والإخبار والدعاء، وبيان مراتبها

أنواع الاستفتاح للصلوة ثلثة، وهى أنواع الأذكار مطلقًا بعد القرآن، أعلاها ما كان ثناء على الله، ويليه ما كان خبراً من العبد عن عبادته لله، والثالث ما كان دعاء للعبد. فإنّ الكلام إما إخبار وإما إنشاء. وأفضل الإخبار ما كان خبراً عن الله، والإخبار عن الله أفضل من الخبر عن غيره ومن الإنشاءات. ولهذا كانت ﴿قل هو الله أحد﴾ تعدل ثلث القرآن، لأنّها تتضمّن الخبر عن الله؛ وكانت آية الكرسىّ أفضل آية فى القرآن، لأنّها خبر عن الله. فما كان من الذكر من جنس هذه السورة وهذه الآية فهو أفضل الأنواع.

تقديم مجرّد ذكر الله والثناء على الدعاء والسؤال

والسؤال للربّ هو بعد الذكر المحض، كما فى حديث مالك بن الحويرث: «من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين». ولهذا كانت الفاتحة نصفين — نصفًا ثناء، ونصفًا دعاء. ونصف الثناء هو المقدّم، وهو الذى لله عزّ وجلّ. وكذلك فى حديث الشفاعة

الصحيح قال : « فإذا رأيت ربّى خررتُ له ساجداً ، فأحمد ربّى بمحامد يفتحها علىّ لا أُحسنها الآن ، فيقول : أى محمّد ، ارفع رأسك ، قلْ تُسمع ، وسَلْ تُعطه » .[١] فبدأ بالحمد لله حتى أذن له فى السؤال ، فيسأل .

وفى صحيح البخارى عن النبىّ صلّى الله عليه وسلم أنه قال : « من تعارَّ من الليل فقال : لا إلٰه إلّا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ، الحمد لله ، وسبحان الله ، والله أكبر ، [ولا حول ولا قوة إلّا بالله ، ثم قال] اللّهم اغفر لى [أو] دعا استجيب له ، وإن توضّأ وصلّى قُبلت صلاته » .[٢] وقال : « أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى : لا إلٰه إلّا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير » .[٣]

---

١ — أخرجه البخارى من حديث أنس بن مالك فى التوحيد والتفسير ، ومسلم فى الإيمان ، والترمذى فى القيامة .

٢ — أخرجه البخارى عن عبادة بن الصامت فى التهجّد ، وأبو داود فى الأدب ، والترمذى فى الدعوات ، وابن ماجه فى الدعاء . وقد أكملنا ما ترك منه بين المربّعتين . و « تعارّ » معناه استيقظ ، ولا يكون إلا يَقَظة مع كلام ، وقيل هو تمطّى وأنّ — من « النهاية » .

٣ — أخرجه الترمذى فى الدعوات من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بلفظ « خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلى ... إلخ » . وأخرج بعضه مالك فى المؤطا عن طلحة بن عبيد الله بن كريز . قال القارى : ورواه الطبرانى بلفظ « أفضل ما قلت أنا والنبيون قبلى » كما هنا ، ذكره المباركفورى .

ولهذا كان التشهد ثناء على الله عزّ وجلّ، وقال فى آخره: «ثم ليختر من المسألة ما شاء».[1] والأدعية الشرعيّة هى بعد التشهّد، لم يشرع الدعاء فى القعود قبل التشهّد، بل قُدِّم الثناء على الدعاء. وفى حديث الذى دعا قبل الثناء قال النبيّ صلّى الله عليه وسلم: «عجّل هذا». فروى الإمام أحمد، والترمذىّ، وأبو داود، عن فُضالة بن عبيد قال: سمع رسول الله صلّى الله عليه وسلم رجلا يدعو فى صلاته لم يُمجِّد الله ولم يُصلّ على النبيّ صلّى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «عجّل هذا». ثم دعاه وقال له ــ أو لغيره ــ «إذا صلّى أحدكم فليبدأ بتمجيد ربّه والثناء عليه، ثم يصلّى على النبيّ صلّى الله عليه وسلم، ثم يدعو بعد ذلك بما شاء».

كون الذكر فى الركوع والسجود أفضل

والذكر المشروع باتّفاق المسلمين فى الركوع، والسجود، والاعتدال. وأمّا الدعاء فى الركوع ففى كراهته نزاع، وإن كان الصحيح أنه لا يكره، ولكنّ الذكر أفضل. فإنّ الذكر مأثور به فيهما، كقوله تعالى ﴿فسبّح باسم ربّك العظيم﴾ و ﴿سبّح اسم ربّك الأعلى﴾، قال النبيّ ﷺ

١ ــ هذا لفظ أحمد من حديث عبد الله بن مسعود، وقد أخرجه أيضًا البخارى، ومسلم، وأبو داود، والنسائى بلفظ «ثمّ يتخيّر من الدعاء أعجبه إليه فيدعو به».

« اجعلوها فى ركوعكم ، والثانية اجعلوها فى سجودكم » .[1]

شرح قوله « وأمّا السجود فاجتهدوا فى الدعاء »

وأمّا قوله صلّى الله عليه وسلم : « أمّا الركوع فعظّموا فيه الربّ ، وأمّا السجود فاجتهدوا فى الدعاء ، فقَمِنٌ أن يستجاب لكم »[2] ففيه الأمر فى الركوع بالتعظيم. وأمره بالدعاء فى السجود بيان منه أنّ الدعاء فى السجود أحقّ بالإجابة من الركوع ، ولهذا قال « قَمِنٌ أن يستجاب لكم » ، كما قال « أقرب ما يكون العبد من ربّه وهو ساجد » .[3] فهو أمرٌ بأن يكون الدعاء فى السجود ــ أمر بالصفة لا بالموصوف ،[4] أو أمر بالصفة والموصوف ــ وإن كان التسبيح أفضل. فإنّه ليس من شرط المأمور أن لا يكون غيره أفضل منه. لأنّ الدعاء هو بحسب مطلوب العبد ، لم يذكر دعاء معيّنًا أمر به ، كما أمر فى الفاتحة بقوله ﴿اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. والدعاء الواجب لا يكون إلّا معيّنًا ، وإن كان جنس الدعاء واجبًا .

فمعلوم أنّ الدعاء جائز فى الصلوة ، وأكثر الأدعية المنقولة عن النبيّ صلّى الله عليه وسلم كانت فى آخر الصلوة ، كما فى

---

١ــ أخرجه أبو داود وابن ماجه والدارمى عن عقبة بن عامر.

٢ــ أخرجه مسلم عن ابن عباس. ٣ــ أخرجه مسلم عن أبى هريرة.

٤ــ تفسير لقوله « فاجتهدوا فى الدعاء » ، فإنّه أمر بالاجتهاد فى الدعاء ، لا بالدعاء نفسه .

الحديث المروىّ عنه صلّى الله عليه وسلم أنّه ذكر أنّ « أجوب الدعاء جوف الليل الآخر ودبر الصلوة ».[١] فعلم أن الدعاء دبر الصلوة ـ لا سيّما قبل السلام كما كان النبىّ صلّى الله عليه وسلم يدعو فى الغالب ـ فهو أجوب سائر أحوال الصلوة، لأنّه دعاء بعد إكمال العبادة.[٢]

وأمّا السجود فإنّما ذَكَرَه والركوع، لأنّه قال: « إنّى نُهيت أن أقرأ القرآن راكعًا أو ساجدًا ـ أمّا الركوع فعظّموا فيه الربّ، وأمّا السجود فاجتهدوا فى الدعاء، فقَمِن أن يستجاب لكم ». فلمّا نهى عن القراءة فى هذين الحالين ذكر ما يكون بدلًا مشروعًا لمن أراد، فخصّ الركوع بالتعظيم، والسجود بالدعاء. فجمع الأقسام الثلاثة ـ القراءة، والذكر، والدعاءَ.

وجوب فضل الذكر على المسألة

وممّا يبيّن فضل الذكر على المسألة ما ثبت فى صحيح مسلم عن النبىّ صلّى الله عليه وسلم أنّه قال: « أفضل الكلام بعد القرآن أربع وهنّ من القرآن ـ

(١) سبحان الله (٢) والحمد لله

---

١ـ لم نعثر على هذا اللفظ بعينه فى الأحاديث، وإنما المشهور فى الباب حديث أبى أمامة الذى أخرجه الترمذى بلفظ: قيل يا رسول الله أىّ الدعاء أسمع؟ قال: «جوف الليل الآخر ودبر الصلوات المكتوبات». قال الترمذى: هذا حديث حسن.

٢ـ انظر شرح المصنف لهذه المسألة بكل البسط فى « فتاويه » ج ١، ص ١٦٧-١٧٣.

(٣) ولا إلـه إلّا الله (٤) والله أكبر ».[١]

ولهذا أمر بهذا الذكر مَن عجز عن القراءة فى الصلوة.

تأخير السؤال عن الحمد فى الاعتدال

والاعتدال مشروع فيه التحميد بالسنّة المتواترة وإجماع المسلمين. وهو الذى كان النبىّ صلّى الله عليه وسلم يفعله فى كلّ صلوة. وكان أحيانًا يدعو بعد التحميد بقوله « اللّهم باعِدْ بينى وبين خطاىَ »،[٢] فيؤخّر السؤال عن الحمد، والثناء، والمجد. وأمر أيضًا بالحمد بقوله: « فإذا قال ‹ سمع الله لمن حمده ›، فقولوا ‹ ربنا ولك الحمد › ». وما داوم عليه وقدّمه وأمر به أفضل ممّا كان يفعله أحيانًا ويؤخره ولم يأمر به.

---

١ — أخرجه مسلم فى الآداب، عن سمرة بن جندب، بلفظ « أحب الكلام إلى الله أربع: ‹ سبحان الله ›، و ‹ الحمد لله ›، و ‹ لا إله إلا الله ›، و ‹ الله أكبر ›، لا يضرّك بأيهنّ بدأت ». وأخرجه أيضاً النسائى، وابن ماجه، وزاد النسائى « وهنّ من القرآن ». وأخرجه أحمد بلفظ « أفضل الكلام بعد القرآن — وهنّ من القرآن — أربع، لا يضرّك بأيتهنّ بدأت: ‹ سبحان الله ›... إلخ ».

٢ — المتبادر إلى الذهن أنّ هذا اللفظ أوّل دعاء الاستفتاح كما رواه البخارى وغيره. ولكنّه أيضًا قطعة من بعض ما ورد من أذكار الاعتدال كما ذكر المصنّف رحمه الله، وكما أورده الحافظ ابن القيّم رحمه الله فى « زاد المعاد » عند بيان الاعتدال من هدى النبىّ صلّى الله عليه وسلم فى الصلوة، إلا أنه لم يرد فيه التحميد. وإنما ورد الجمع بين التحميد والدعاء فى رواية ابن أبى أوفى التى أخرجها مسلم وغيره بلفظ « اللّهم لك الحمد ملء السماء... اللّهم طهّرنى... إلخ » وليس فيه هذا اللفظ. وقد جاء فى بعض ألفاظه « أهل الثناء والمجد ».

كون إضافة الثناء إلى الله وإضافة السؤال إلى العبد

وأيضًا فنوع الثناء أضافه الربّ إلى نفسه، ونوع السؤال أضافه إلى عبده، فقال: إذا قال العبد ﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ قال الله «حمدنى عبدى»؛ فإذا قال ﴿ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قال «أثنى علىّ عبدى»؛ فإذا قال ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ قال «مجّدنى عبدى»؛ فإذا قال ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ قال «هذه الآية بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل»؛ فإذا قال ﴿ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾... إلى آخر السورة قال «هؤلاء لعبدى ولعبدى ما سأل».[1]

إيجاب العلماء الثناء فى التشهّد والركوع والسجود والانتقالات

وأيضًا فجماهير العلماء على إيجاب الثناء. فيوجبون التشهّد الأخير؛ وكذلك التشهّد الأوّل يجب مع الذكر عند مالك، وأحمد، فإذا تركه عمدًا بطلت صلاته. وتسبيح الركوع والسجود كذلك أيضًا عند أحمد، وغيره. وكذلك التكبير - تكبيرة الانتقال - فمذهب مالك: من ترك من ذلك ثلاثًا عمدًا أعاد الصلوة. ومذهب أحمد - المشهور عنه - مطلقًا.

---

١ - أخرجه مسلم عن أبى هريرة فى كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة فى كل ركعة... إلخ.

ومـا يذكره أصحاب أحمـد فى مسائل الخلاف أنّ إيجاب هـذه الأذكار من مفـردات أحمـد عن الثـلاثـة، فـذلك لأنّ أصحـاب مالك يسـمّون هذه «سننًـا»، و «السـنّة» عندهم قد تكون واجبة إذا تركها عمـدًا أعاد، وهذه من ذاك. فيظنّ من يظنّ أنّ لفظ «السـنّة» عندهم لا يكون إلّا لما يجوز تركه، وليس كذلك.

كون الدعاء شرع مقـرونًـا بالثناء، من غير عكس

فأمّـا الدعاء فلم يجب منه دعاء مفرد أصلا، بل ما وجب من الفاتحة وجب بعد الثناء. وكذلك من أوجب أن يدعو بعد التشهّـد بالدعاء المأمور بـه هناك ــ وهو الاستعـاذة من عـذاب جهنّـم، والقبر، وفتـنة المحيا والممات، والدجّـال[1] ــ فإنّـما أوجبه بعد التشهّـد الذى هو ثناء؛ وهو قول طاوس، ووجه فى مذهب أحمد.

وأيضًـا فالدعاء لم يشرع مجـرّدًا، لم يشرع إلّا مع الثناء. وأمّـا الثـناء فقـد شـرع مجـرّدا بلا كراهـة. فلو اقتصـر فى الاعتدال عـلى الثـناء، وفى الركوع والسجود على التسبيح، كان مشـروعًـا بلا كراهـة. ولو اقتصر فى ذلك عـلى الدعاء لم يكن مشروعًـا، وفى بطلان الصلاة نزاع.

١ــ كما رواه الشيخان و غيرهما عن عائشة، وأبى هريرة، وابن عبّـاس.

كون الثناء متضمّناً لمقصود الدعاء

وأيضًا فالثناء يتضمّن مقصود الدعاء، كما فى الحديث: «أفضل الذكر لا إله إلّا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله».[١] فإنّ ثناء الداعى على المدعوّ بما يتضمّن حصول مطلوبه قد يكون أبلغ من ذكر المطلوب، كما قيل:

إذا أثنى عليك المرء يومًا ✡ كفاه من تعرّضه الثناء[٢]

ولهذا يقول فى الدعاء المأثور: «أسألك بأنّ لك الحمد، أنت الله المنّان، بديع السموات»،[٣] فسأله بأنّ له الحمد. فعلم بأنّ الاعتراف بكونه مستحقًّا للحمد هو سبب فى حصول المطلوب. وهذا كقول أيّوب عليه السلام ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾. فقوله هذا أحسن من قوله «ارحمنى». وفى دعاء ليلة القدر الذى روته عائشة: «اللّهمّ!

---

١ــ أخرجه أبو حاتم ــ وهو ابن حبّان ــ عن جابر بن عبد الله. وأخرجه أيضًا الترمذى، والنسائى، وابن ماجه، والحاكم وصحّحه.

٢ ــ وقبل هذا البيت:

أ أذكر حاجتى أم قد كفانى ✡ حياؤك، إنّ شيمتك الحياء

نقلهما المصنّف فى فتاويه، ج ٢، ص ٢٦٠، من قول أميّة بن أبى الصلت يمدح بهما ابن جدعان. قال المصنّف هنالك: أنشدهما سفيان بن عيينة وقال: «فهذا مخلوق يخاطب مخلوقًا، فكيف بالخالق تعالى»؟

٣ ــ أخرجه أبو داود عن أنس فى الوتر، والترمذى فى الدعوات، وابن ماجه فى الدعاء، والنسائى فى السهو، وأحمد فى مسنده.

إنّك عفوٌّ تحبّ العفو، فاعف عنّى».[1] وفى الصحيحين عن ابن عبّاس أنّ النبىّ صلّى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب: «لا إلٰه إلّا الله العظيم الحليم، لا إلٰه إلّا الله ربّ العرش العظيم، لا إله إلّا الله ربّ السموات وربّ الأرض ربّ العرش الكريم».

كون الثناء المشروع يستلزم الإيمان، بخلاف الدعاء

ومّما يبيّن فضل الثناء على الدعاء أنّ الثناء المشروع يستلزم الإيمان بالله. وأمّا الدعاء فقد لا يستلزمه، إذ الكفّار يسئلون الله فيعطيهم، كما أخبر الله بذلك فى القرآن فى غير موضع. فإنّ سؤال الرزق والعافية ونحو ذلك هو من الأدعية المشروعة، وهو ممّا يدعو به المؤمن والكافر، بخلاف الثناء المشروع، كقوله «سبحانك اللّهمّ وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدّك، ولا إله غيرك»، و«التحيّات لله، والصلوات، والطيّبات، السلام عليك أيّها النبىّ ورحمة الله وبركاته»، فإنّ هذا لا يثنى به إلّا مؤمن. وكذلك قوله «اللّهمّ ربّنا لك الحمد، ملء السماء، وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شىء بعد».[2]

---

١ ــ أخرجه أحمد، والترمذى، وابن ماجه عن عائشة.

٢ ــ أخرجه مسلم عن عبد الله بن أبى أوفى وأبى سعيد الخدرى فى الصلاة.

لكن قد يكون بعض الثناء يقرّ به الكفّار، كإقرارهم بأنّ الله خالق السموات والأرض، وأنّه يجيب المضطرّ إذا دعاه، ونحو ذلك. لكن المشركون لم يكن لهم ثناء مشروع يثنون به على الله، حتى فى تلبيتهم كانوا يقولون «لبّيك لا شريك لك إلّا شريكٌ هو لك تملكه وما ملك».[١] وكذلك النصارى ثناؤهم فيه الشرك. وأمّا اليهود فليس فى عباداتهم ثناء، اللّهمّ إلّا ما يكون مأثوراً عن الأنبياء، وذلك من ثناء أهل الإيمان، وكذلك النصارى إن كان عندهم شىء من ذلك. وأمّا ما شرعه من ثنائه فهو يتضمّن الإيمان به.

كون المفضول قد يكون أحياناً أفضل

والأدلّة الدالّة على فضل جنس الثناء على جنس الدعاء كثيرة،[٢] مثل أمره أن يقال عند سماع المؤذن مثل ما يقول، ثم يصلّى على النبىّ صلّى الله عليه وسلم ويسأل له الوسيلة، ثم يسأل العبد بعد ذلك.[٣] فقدّم الثناء على الدعاء لرسوله، ثم للإنسان.

وكذلك هنا، مع أنّى لا أعلم فى هذا نزاعًا بين العلماء،

---

١ ــ أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عبّاس فى الحجّ، وفيه «شريكاً».

٢ ــ فى الأصل «كبيرة».

٣ ــ أمّا حديث القول مثل قول المؤذّن فأخرجه أحمد، ومسلم، والنسائى عن عبد الله ابن عمرو؛ وأمّا حديث الدعاء عند النداء فأخرجه أبو داود، والدارمى عن سهل بن سعد.

ولكنّ المفضول قد يكون أحيانًا أفضل. فإنّ الصلوة أفضل من قراءة القرآن، والقراءة أفضل من الذكر، والذكر أفضل من الدعاء. والمفضول قد يعرض له حال يكون فيه أفضل لأسباب متعدّدة، إمّا مطلقًا كفضيلة القراءة وقت النهى على الصلوة، وإمّا لحال مخصوص. وهذا مبسوط فى موضع آخر.

والمقصود هنا أنّ جنس الثناء أفضل من جنس السؤال، كما قال تعالى: «من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين».[1] وقراءة القرآن أفضل منهما، كما فى حديث الترمذى عن أبى سعيد، عن النبىّ صلّى الله عليه وسلم أنه قال: «يقول الله: من شغله قراءة القرآن عن ذكرى ومسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين»، قال الترمذى: حديث حسن غريب.[2]

---

١ ــ هذا لفظ حديث قدسىّ أخرجه البخارى فى «خلق أفعال العباد» (طبع الهند، ص ٩٣) عن عمر بن الخطّاب. وأخرجه أيضًا أبو نعيم عن حذيفة، والبيهقى فى الشعب عن جابر. وقد رواه المصنّف عن مالك بن الحويرث كما مرّ فى ص ٢. قال المصنّف: وأظنّ البيهقى رواه مرفوعًا (عن مالك بن الحويرث) بهذا اللفظ ــ «فتاوى ابن تيميّة»، ج ٢، ص ٢٦٠.

٢ ــ أخرجه الترمذى فى آخر أبواب فضائل القرآن، وتمامه «وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه». قال الحافظ فى «الفتح» تحت باب فضل القرآن على سائر الكلام من أبواب فضائل القرآن من البخارى: جاله ثقات إلا عطيّة العوفى ففيه ضعف ــ اهـ. وأخرجه أيضا الدارمى فى فضائل القرآن، باب فضل كلام الله على سائر الكلام. وقال المباركفورى: وأخرجه أيضًا البيهقى فى شعب الإيمان.

كون مقصود السائل مطلوب نفسه، ومقصود المثنى محبوب ربه

وهذا بيّنٌ فى الاعتبار. لأنّ السائل غاية مقصوده حصول مطلوبه ومراده. فهو مريد من الله. وإن كان مطلوبه محبوبًا لله – مثل أن يطلب منه إعانته على ذكره وشكره وحسن عبادته – فهو يريد منه هذا الأمر المحبوب لله.

وأمّا المُثنى فهو ذاكر لنفس محبوب الحقّ من أسمائه وصفاته. والمطلوب بهذا معرفة الله ومحبّته وعبادته. وهذا مطلوبٌ لنفسه، لا لغيره. وهو الغاية التى خلق لها الخلق، كما قال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات ٥١ : ٥٦]، والسؤال وسيلة إلى هذا. ولهذا قال فى الفاتحة ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾. فقدّم قول ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ المقصود لنفسه على قوله ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾، لأنه وسيلة إلى ذلك. والمقاصد مقدّمة فى القصد والقول على الوسائل.[١]

١ – شرحه العلّامة ابن القيّم فى «مدارج السالكين» ج ١، ص ٤١، بقوله:
«وتقديم العبادة على الاستعانة فى الفاتحة من باب تقديم الغايات على الوسائل، إذ العبادة غاية العباد التى خلقوا لها، والاستعانة وسيلة إليها. ولأنّ ﴿إيّاك نعبد﴾ متعلّق بألوهيّته واسمه الله، ﴿وإيّاك نستعين﴾ متعلّق بربوبيّته واسمه الربّ. فقدّم ﴿إيّاك نعبد﴾ على ﴿إيّاك نستعين﴾ كما تقدّم اسم الله على الربّ فى أوّل السورة. ولأنّ ﴿إيّاك نعبد﴾ قسم الربّ فيكون من الشطر الأول الذى هو ثناء على الله تعالى لكونه أولى به، ﴿وإيّاك نستعين﴾ قسم العبد فكان مع الشطر الذى له، وهو ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ إلى آخر السورة. ولأنّ العبادة المطلقة تتضمّن الاستعانة من غير عكس... إلخ».

ثم مقصود السائل من الدعاء يحصل لهذا العابد المثنى مع اشتغاله بأشرف القسمين.

كون ما يحصل للداعى من معرفة الله ومناجاته أنفع له من نفس حاجته

وأمّا الداعى فإذا كان مهتما بما هو محتاج إليه من جلب منفعة ودفع مضرّة ـ كحاجته إلى الرزق والنصر الضرورىّ ـ كان اشتغال نفسه بهذا صارفًا له عن غيره. فإذا دعا الله سبحانه وتعالى فقد يحصل له بالدعاء من معرفة الله ومحبّته، والثناء عليه، والعبوديّة له، والافتقار إليه، ما هو أفضل وأنفع من مطلوبه ذاك، كما قال بعض السلف «يا ابن آدم، لقد بورك لك فى حاجةٍ أكثرتَ فيها قرع باب سيّدك». وقال بعضهم: «إنّه ليكون لى إلى الله تعالى حاجة فأدعوه، فيفتح لى من باب معرفته ما أُحبّ معه أن لا يُعجّل لى قضاؤها لئلّا ينصرف قلبى من الدعاء».[1]

كون الكافر لا يدعو الله إلا لحاجته فقط ثم ينساها ويعرض عنه

والسائل إذا حصل سؤله برد. فإنّه لم يكن مراده إلّا سؤله، وإذا حصل أعرض عن الله. فهذا حال الكفّار الذين ذمّهم الله تعالى فى القرآن، كقوله تعالى ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا

١ ـ انظر بيان ذلك بأبسط منه وألذّ فى ص ٣٠٢، ج ٢، من فتاوى الشيخ المصنّف ـ رحمه الله تعالى.

لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا ، فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ﴾ ـ [يونس ١٠ : ١٢] ، وقال تعالى ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ، لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۞ قُلِ اللهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ ـ [الأنعام ٦ : ٦٣-٦٤] ، وقال تعالى ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ، قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ، إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ ـ [الزمر ٣٩ : ٨] . فقوله سبحانه وتعالى ﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ﴾ ، أى نسى ما كان يدعو الله إليه ، وهو الحاجة التى طلبها . فإنّ دعاءه كان إليها ، أى توجّهه إليها وقصده إليها ، فهى الغاية التى كان يقصدها .

وإذا كانت «ما» مصدريّة كان التقدير «نسى كونه كان يدعو الله إلى حاجته» ، كما قال تعالى فى الآية الأخرى ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ﴾ . لكن على هذا يبقى الضمير فى ﴿إِلَيْهِ﴾ عائدًا على غير مذكور ، بخلاف ما إذا جعلت بمعنى «الذى» . فإنّ التقدير «نسى

حاجته التى دعانا إليه[1] من قبل، فنسى دعاءه لله الذى كان سبب الحاجة».

و «إلى» حرف الغاية، كما قال تعالى فى الآية الأخرى ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ اللهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ ـ [الأنعام ٦: ٤٠-٤١]. فقد أخبر تعالى أنه يكشف ما تدعون إليه، وهو الشدة التى دعوا إليها.

كون المؤمن لا يترك الإقبال على الله بعد قضاء حاجته

وأما المؤمن فلا بُدّ بعد قضاء حاجته من عبادته لله تعالى، وإخلاصه له، وإقباله عليه، كما أمره ـ إما قياماً بالواجب فقط فيكون من الأبرار، أو بالواجب والمستحبّ فيكون من المقرَّبين. ومن ترك بعض ما أمر به بعد قضاء حاجته فهو من أهل الذنوب. وقد يكون ذلك من الشرك الأصغر الذى يُبتلى به غالب الخلق ـ إما شركاً فى الربوبيّة، وإما شركاً فى الإلهيّة ـ كما هو مبسوط فى موضعه. وقد يُبتلى فى أماكن الجهل وزمانه كثير من الناس بما هو من الشرك الأكبر وهم لا يعلمون.

١ ـ كذا بالأصل، والظاهر أنه «إليها».

فالسائل مقصوده سؤله. وإن حصل له ما هو محبوب الربّ من إنابته إليه ومحبّته وتوبته فهذا بالعرض؛ وقد يدوم — والأغلب أنّه لا يدوم. إلّا أن يكون ذلك المحبوب للربّ هو سؤله، مثل أن يسأل الله التوبة، والإعانة على ذكره وشكره وحسن عبادته، فهنا مطلوبه محبوب للربّ. ولهذا ذمّ الله من لم يطلب إلّا الدنيا فى قوله ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ — [البقرة ٢ : ٢٠٠].

خلاصة هذا البحث فى أنّ جنس الثناء أفضل من جنس الدعاء

وأمّا المثنى فنفس ثنائه محبوب للربّ، وحصول مقصود السائل يحصل ضمنًا وتبعًا. فهذا أرفع، لكنّ هذا إنّما يتمّ لمن حصل إيمانه. فصار يحبّ الله، ويحبّ حمده وثناءه وذكره. وذلك أحبّ إلى قلبه من مطالب السائلين رزقًا ونصرًا.

وأمّا من كان اهتمامه بهذا[1] أكثر فهذا يكون انتفاعه بالدعاء أكثر، وإن كان جنس الثناء أفضل، كما أنّ قراءة القرآن أفضل من الذكر والدعاء. وقد يكون بعض الناس لبعض حاله انتفاعه بالذكر والدعاء أكمل، فهو خير له بحسب حاله، لا أفضل فى نفس الأمر.

١ — أى بطلب الرزق والنصر.

والمقصود هنا بيان ما شرعه الله لعباده شرعًا مطلقًا عامًّا.

ولهذا ما كان من أذكار الصلوة من جنس الدعاء لم يجب عند عامّة العلماء. وأمّا الثناء ـ كدعاء الاستفتاح وغيره ـ فاختلف فى وجوبه. فذهب طائفة من أصحاب أحمد إلى وجوب الذكر الذى هو ثناء، كالاستفتاح، وهو اختيار ابن بطّة وغيره. وذُكر هذا روايةً عن أحمد، كما وجب ـ فى المشهور عنه ـ التسبيحُ فى الركوع والسجود، والتسميعُ والتحميد، وتكبيرةُ الانتقال.

كون الإخبار بالعبوديّة أفضل من الدعاء ودون الثناء

فهذان[1] نوعان ظهر فضل أحدهما على الآخر. وأمّا النوع المتوسّط بينهما فهو إخبار الإنسان بعبادته لله تعالى، كقوله «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ»،[2] وقوله «إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّٰهِ»،[2] وقوله «لك سجدت، ولك عبدت، وبك آمنت، ولك أسلمت»، ونحو ذلك.[2]

---

١ ــ أى الثناء والدعاء.

٢ ــ هذه ثلاث قطع من حديث علىّ بن أبى طالب أخرجه مسلم فى كتاب الصلوة، باب الدعاء فى صلوة الليل وقيامه. فالأولى والثانية منها كان ممّا يستفتح به رسول الله صلّى الله عليه وسلم صلوة الليل. وأمّا الثالثة فممّا كان يقوله إذا سجد، وليس فى رواية مسلم «ولك عبدت»، وتمامه «سجد وجهى للذى خلقه وصوّره وشقّ سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين».

فهذا أفضل من الدعاء، ودون الثناء. فإنّه إنشاء، وإخبار ما يحبّه الله ويأمر به العبد. فمقصوده محبوب الحقّ، فهو أفضل ممّا مقصوده مطلوب العبد. لكنّ جنس الثناء أفضل منه، كما روى مسلم فى صحيحه عن النبيّ صلّى الله عليه وسلم أنّه قال: «أفضل الكلام بعد القرآن أربع وهنّ من القرآن ــ سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلّا الله، والله أكبر».[1] فجعل هذا الكلام الذى هو ذكر الله أفضل من جميع الكلام بعد القرآن. وكذلك للرجل الذى قال: لا أستطيع أن آخذ شيئا من القرآن، فعلّمنى ما يجزينى، فعلّمه سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلّا الله، والله أكبر.[2] فجعل ذلك بدلًا عنْ القرآن.

---

١ ــ مرّ تخريجه فى ص ٧.

٢ ــ هو حديث عبد الله بن أبى أوفى أخرجه أحمد، وأبو داود فى «باب ما يجزئ الأمّىّ والعجمىّ من القراءة»، والنسائىّ فى «باب ما يجزئ من القراءة لمن لا يحسن القرآن»، وزادوا «ولا حول ولا قوّة إلا بالله».

# الفصل الثاني

## بعض أسرار التشهد والصلوة والحمدلة والبسملة

وسورة ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ أفضل من ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾. وتلك أمرٌ بأن يقال ما هو صفة الربّ، وهذه أمرٌ بأن يقال ما هو إنشاء خبر عن توحيد الربّ.

ذكر جامع للأنواع الثلاثة من الثناء، والإخبار، والدعاء، على الترتيب

وكان النبيّ صلّى الله عليه وسلم يقدّم ذلك الصنف، كقوله فى الحديث الصحيح: «اللّهمّ! لك الحمد، أنت ربّ السمٰوات والأرض ومن فيهنّ؛ ولك الحمد، أنت قيّوم[1] السمٰوات والأرض ومن فيهنّ؛ ولك الحمد، أنت نور السمٰوات والأرض ومن فيهنّ؛ أنت الحقّ، وقولك الحقّ، ووعدك حقٌّ. والجنّة حقٌّ، والنار حقٌّ، والنبيّون حقٌّ، ومحمّد حقٌّ. اللّهمّ! لك أسلمتُ، وبك آمنتُ، وعليك توكّلتُ، وإليك أنبتُ، وبك خاصمتُ، وإليك حاكمتُ. فاغفر لى ما قدّمتُ، وما أخّرتُ، وما أسررتُ، وما أعلنتُ، وما أسرفتُ؛ أنت إلٰهى،

---

١ ــ وجاء «قيّام» و «قيّم» أيضًا. قال مجاهد: القيّوم القائم على كلّ شىء.

لا إلـه إلّا أنت».[1] فهذا الذكر تضمّـن الأنواع الثلاثة، فقـدّم ما هو خـبر عن الله واليوم الآخر ورسله، ثم ذكر ما هو خبر عن توحيد العبد وإيمانه، ثم ختم بالسؤال.

وجه تقديم ذكر الله على خبر الإنسان عن نفسه

وهـذا لأنّ خبر الإنسـان عن نفسه سلوكٌ يشهد فيه نفسَـه وتحقيقَ عبادتها لله عـزّ وجلّ. وأمّـا الثناء المحض فهو لا يشهد فيه إلّا الله تعالى بأسمائه وصفاته. وما جُـرّد فيه ذكر الله تعالى كان أفضل ممّـا ذكر فيه الخلق. وأيضـًا ولهذا فضّـلت سورة ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَـدٌ﴾ وجعلت تعـدل ثلث القـرآن، لأنّـها صفة الرحمٰـن وذكره محضـًا، لم يشب بذكره غيره.

كـون الشهـادتين مبـــدأ الإسلام وأصـله وركنـًا فى الخطب

لكنّ فى ابتداء السلوك لا بـدّ من ذكر الإنسان. ولهذا كان مبدأ الدخول فى الإسلام «أشهـد أن لا إلـه إلّا الله، وأشهد أنّ محمّـدًا عبده ورسوله»، بخلاف حال العبادة المحضة، فإنّـه يقول «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلّا الله، والله أكبر». فإنّ الشهادة بها يصير مسلمـًا، وهو الأصل والأساس.

---

١ــ أخرجه أحمد، والشيخان، والترمـذىّ، والنسائىّ، وابن ماجه، من غير وجه عن ابن عبّـاس مرفوعـًا. أمّـا البخـارىّ فقـد رواه فى صـلوة التهجّـد حيث شرحـه مستوفيـًا الحافظ ابن حجر فى «الفتح»، ورواه أيضـًا فى الدعوات، وفى كتاب التوحيد مراراً.

ولهذا جعلت ركنًا فى الخطب ـ فى خطبة الصلوة ، وهى التشهّد ، يختمه بقوله « أشهد أن لا إلٰه إلّا الله ، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله » ؛ وفى الخطب خارج الصلوة ، كخطبة الحاجة ـ خطبة ابن مسعود ـ والخطب المشروعة خطب الجُمَع وغيرها .

كون الصواب فى الخطب وجوب ذكر النبىّ (ص) بالتشهّد لا بالصلوة

وفى السنن عن النبىّ صلّى الله عليه وسلم أنّه قال : « كلّ خطبة ليس فيها تشهّد فهى كاليد الجذماء » .[1] والذين أوجبوا ذكر النبىّ صلّى الله عليه وسلم فى الخطبة ، كأصحاب الشافعىّ وأحمد ، قال كثير منهم : يجب مع الحمد الصلوةُ عليه . وقال بعضهم : يجب ذكره إمّا بالصلوة وإمّا بالتشهّد ، وهو اختيار جدّى أبو البركات .[2] والصواب أنّ ذكره بالتشهّد هو الواجب لدلالة هذا الحديث عليه ؛ ولأنّ الشهادة إيمان به ، والصلوة عليه دعاء له . وأين هذا من هذا ؟

---

١ ـ أخرجه الترمذىّ عن أبى هريرة فى النكاح ، باب ما جاء فى خطبة النكاح ، وقال حسن غريب . وأخرجه أيضًا أبو داود ، وأحمد . و « الجذماء » المقطوعة .

٢ ـ هو الشيخ مجد الدين عبد السلام بن عبد الله بن تيميّة المتوفّى سنة ٦٥٣ هـ ، صاحب كتاب « المنتقى » فى أحاديث الأحكام . وقوله « أبو البركات » هكذا فى الأصل بالرفع مع أنّه فى محلّ الخفض على البدلية من لفظ « جدّى » ، لأنّه من باب إضافة المصدر إلى فاعله .

كون التشهّد شرع فى الثناء على الحقّ وفى الخطاب مع الناس وفى الإعلام بالصلوات

والتشهّد في الصلوة لا بُدّ فيه من الشهادة له — فى الأوّل، والآخر.[1] وأمّا الصلوة عليه فشرعت مع الدعاء، والصحيح أنّه إذا دعا قدّم الصلوة عليه أمام الدعاء، فهى مشروعة مع الدعاء.

وأمّا التشهّد فهو مشروع فى الخطاب والثناء. فتشهّد الصلوة ثناء على الحقّ شرع فيه التشهّد، والخطبة خطاب مع الناس شرع فيها التشهّد.

والأذان ذكر الله يقصد به الإعلام بوقت العبادة وفعلها، فشرع فيه التشهّد.

كون الصلوة على النبىّ (ص) مع الدعاء لأنّه من جنس الدعاء

وأمّا الصلوة عليه فإنّما جاءت الآثار بأنّها تكون مع الدعاء، كحديث الذى قال فيه «عجّل هذا»[2] وأمثاله. فإنّ الصلوة عليه من جنس الدعاء، وهو أولى بالمؤمنين من أنفسهم. فيكون الدعاء له مقدّمًا على الدعاء لغيره، كما قدّم السلام عليه فى التشهّد على السلام على غيره، حتى على المصلّى نفسه.

فهذا ممّا يبيّن كمال أسرار الدين.

---

١ــ أى فى التشهّد الأوّل من الصلوة، وفى التشهّد الأخير.

٢ــ تقدّم هذا الحديث بتمامه مع تخريجه من المصنّف فى ص ٤.

كون الخطب والصلوات تفتتح بقوله «الحمد لله»

فقدم فى الخطب الحمد على التشهد، كما قدم فى الفاتحة الحمد على التوحيد بقوله ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾.

فإنّ فى سنن أبى داود وغيره عن النبىّ صلّى عليه وسلم أنّه قال: «كلّ أمر ذى بال لا يبدأ فيه بِـ «الحمد لله» فهو أجذم».[1] فـ «الحمد لله» له الابتداء.

ولهذا كانت خطب النبىّ صلّى الله عليه وسلم يفتتحها بالحمد. وكذلك الصلوة إنّما تفتتح بالحمد، فتفتتح بسورة الحمد عند المسلمين كلّهم، إذ هى السنّة المتواترة عن النبىّ صلّى الله عليه وسلم.

كون البسملة شرعت فى افتتاح الأعمال

ويفتتح بالجهر بكلمة «الحمد» عند جمهورهم، إذ كانت البسملة مقصوده لغيرها، فهى وسيلة. إذ قول القارئ «بسم الله» معناه «باسم الله أقرأ، أو أنا قارئ».

ولهذا شُرعت التسمية فى افتتاح الأعمال كلّها. فيسمّى الله عند الأكل والشرب، والركوب، ودخول المنزل والخروج

---

١ــ أخرجه أبو داود عن أبى هريرة فى الأدب، باب الهدى فى الكلام بلفظ «كلّ كلام»، وابن ماجه فى النكاح، باب خطبة النكاح، وفيه «بالحمد». و «أجذم» معناه الأبتر المنقطع، أو المقطوع اليد. وفى رواية ابن ماجه «أقطع»، أى مقطوع البركة.

منه، ودخول المسجد والخروج منه، وغير ذلك من الأفعال؛ وهى عند الذبح من شعائر التوحيد. فالصلوة والقراءة عمل من الأعمال، فافتتحت بالتسمية.

كونها آية فى أوّل السورة وليست منها

ولهذا إنّما أنزلها الله فى أوّل كلّ سورة، وهى من القرآن حيث كتبت كما كتبها الصحابة رضوان الله عليهم. لكنّها آية مفردة فى أوّل السورة، وليست من السورة. وهذا القول أعدل الأقوال الثلاثة التى للعلماء فيها.[1]

السرّ فى عدم الجهر بالبسملة والجهر بالحمدلة

فلمّا كانت تابعة ووسيلة، و «الحمد لله» مقصود لنفسه، والتسمية لأجله، جُهر بالمقصود وأعلن، وأُخفى الوسيلة، كما هو قول جمهور العلماء، وعليه تدلّ الأحاديث الصحيحة. ألا ترى أنّه باتّفاق المسلمين، وهى السنّة المتواترة عن النبىّ صلّى الله عليه وسلم؟ لا يُجهر بها فى الخطب، بل يفتتح الخطيب بالحمد وإن لم يكن الخطبة قرآنًا.

ولهذا لم يذكرها النبىّ صلّى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح ــ حديث قسمة الصلوة بين العبد والربّ.[2]

---

١ ــ والقول الثانى أنّها بعض آية فى الفاتحة دون غيرها، والثالث أنّها إنّما كتبت للفصل لا أنّها آية ــ أفاده الحافظ ابن كثير.

٢ ــ أخرجه مسلم عن أبى هريرة، كما سرده المصنّف فى ص ٨، وأوّله «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأمّ القرآن فهى خداج». وأخرجه أيضًا الترمذىّ، والنسائىّ، ومالك.

كون الخطب كلّها لا تفتتح إلا بالحمد

وخطبة الجمعة تفتتح بالحمد بالسنّة المتواترة واتّفاق العلماء. وأمّا خطبة الاستسقاء ففيها ثلاثة أقوال فى مذهب أحمد وغيره ـ أحدها أنّها تفتتح بـ«الحمد لله» كالجمعة، والثانى بالتكبير كالعيد، والثالث بالاستغفار لأنّه أخص بالاستسقاء. وخطبة العيد قد ذكر عبيد الله بن عتبة أنّها تفتتح بالتكبير،[1] وأخذ بذلك مَن أخذ به من الفقهاء.

لكن لم ينقل أحد عن النبىّ صلّى الله عليه وسلم أنّه افتتح خطبةً بغير الحمد ـ لا خطبة عيد، ولا استسقاء، ولا غير ذلك. وقد قال صلّى الله عليه وسلم: «كلّ أمر ذى بال لا يبدأ فيه بالحمد فهو أجذم».[2] وقد كان يخطب خطب الحجّ وغير خطب الحجّ ـ خطبًا عارضة ـ ولم ينقل أحد عنه أنّه افتتح خطبة بغير الحمد.

فالذى لا بُدّ منه فى الخطبة «الحمد لله»، والتشهّد. والحمد يتبعه التسبيح، والتشهّد يتبعه التكبير، وهذه هى الباقيات الصالحات.[3] وقد قال الله تعالى ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، أَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ـ [المؤمن ٤٠ : ٦٥].

---

١ ـ رواه الموفّق ابن قدامة بإسناده عن عبيد الله فى «المغنى». وقال الحافظ بن حجر فى «التلخيص الحبير»: أخرجه البيهقىّ، وابن أبى شيبة.

٢ ـ مرّ هذا الحديث فى ص ٢٥، مع بيان تخريجه.

٣ ـ وهى لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، كما رواه أحمد عن عثمان.

# الفصل الثالث

## أنواع الاستفتاح الثلاثة، وبيان الأفضل منها

النوع الأول ما كان ثناء محضا وهو أفضل أنواع الاستفتاح

إذا تبيّن هذا الأصل فأفضل أنواع الاستفتاح ما كان ثناء محضًا، مثل «سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدّك، ولا إله غيرك»؛[1] وقوله «الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرةً وأصيلاً».[2] لكنّ ذاك فيه من الثناء ما ليس فى هذا، فإنّه تضمّن ذكر الباقيات الصالحات التى هى أفضل الكلام بعد القرآن،[3] وتضمّن قوله «تبارك اسمك، وتعالى جدّك»، وهما

---

١ــ أخرجه أبو داود، والترمذىّ، والنسائىّ، وابن ماجه، من حديث أبى سعيد الخدرىّ عن النبىّ صلّى الله عليه وسلم، بلفظين «كان إذا قام من الليل كبّر ثم يقول...» أو «كان إذا استفتح الصلوة يقول...». قال الترمذىّ: هذا أشهر حديث فى الباب وقد تُكلّم فى إسناده. وأيضًا أخرجه أبو داود، والترمذىّ، وابن ماجه، عن عائشة، وقال الترمذىّ: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وحارثة قد تُكلّم فيه من قبل حفظه.

٢ــ هو حديث عبد الله بن عمر أخرجه مسلم فى باب ما يقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة من الصلوة، والترمذىّ فى الدعوات، والنسائىّ فى الصلوة، بلفظ: بينما نحن نصلّى مع رسول الله صلّى الله عليه وسلم إذ قال رجل من القوم «الله أكبر كبيرًا...إلخ».

٣ــ وخلاصته، كما فى «الفتاوى»، أن التسبيح والتحميد يتضمّن التعظيم والحمد المستلزمين للإلهيّة. وقوله «سبحانك» يتضمّن تعظيمه، كما يتضمّن ذلك أيضا قوله «الله أكبر»، فصار كلّ منهما متضمّنا معنى الآخر إذا أفرد.

من القرآن أيضًا . ولهذا كان أكثر السلف يستفتحون به ، وكان عمر بن الخطّاب يجهر به يعلّمه الناس .[١]

النوع الثانى ما كان خبرًا عن عبادة العبد وهو دون الأوّل

وبعده النوع الثانى ، وهو الخبر عن عبادة العبد ، كقوله « وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ . . . إلخ » .[٢] وهو يتضمّن هذا النوع ، ويتضمّن الدعاء .

الجمع بين نوعى الاستفتاح وذكر من اختاره من العلماء

وإن استفتح العبد بهذا بعد ذلك فقد جمع بين الأنواع الثلاثة ، وهو أفضل الاستفتاحات ، كما جاء ذلك فى حديثٍ مصرَّحًا .[٣] وهو اختيار أبى يوسف ، وابن

---

١ ــ ذكره مسلم فى باب حجّة من قال لا يجهر بالبسملة ، عن عبدة بن أبى لبابة أنّ عمر بن الخطّاب كان يجهر بهؤلاء الكلمات . قال النووىّ : فى إسناده انقطاع لأنّ عبدة لم يسمع من عمر ــ انتهى . فأخرجه مسلم استطرادًا فى موضع غير مظنّته ومقصوده الحديث الذى أخرجه بعد هذا الأثر فى عدم الجهر بالبسملة ، وهو صحيح متّصل . وإنّما فعل هذا لأنّه سمعه هكذا ، فأدّاه كما سمع . وقال الأسود : كان عمر إذا افتتح الصلوة قال « سبحانك اللّهمّ وبحمدك . . . إلخ » يُسمِعنا ذلك ويعلّمنا ، رواه الدار قطنىّ ــ قاله أبو البركات ابن تيميّة فى « المنتقى » .

٢ ــ أخرجه بطوله مسلم فى الصلوة ، باب الدعاء فى صلوة الليل وقيامه ، عن علىّ بن أبى طالب ، وكذلك أبو داود ، والترمذىّ ، والنسائىّ .

٣ ــ أخرجه البيهقىّ فى السنن فى باب من روى الجمع بينهما (ج ٢ ، ص ٣٣) من حديث محمّد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم كان إذا افتتح الصلوة قال : سبحانك اللّهمّ . . . إلخ ، وجّهت وجهى . . . إلخ . قال البيهقىّ فى « المعرفة » : وقد روى فى الجمع بينهما عن محمّد بن المنكدر ، مرّة عن ابن عمر ، ومرّة عن جابر ، وليس بالقوىّ ــ انتهى من « نصب الراية » .

هبيرة الوزير من أصحاب أحمد، صاحب «الإفصاح»، وهكذا أستفتح أنا.[١]

النوع الثالث ما كان دعاء من العبد، وهو أدنى الأنواع

وبعده النوع الثالث، كقوله «اللّهمّ! باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب... إلخ».[٢]

بيان مراعاة هذا الترتيب فى أذكار الركوع والسجود

وهكذا ذكرُ الركوع والسجود، والتسبيحُ فيهما، أفضل من قوله «لك ركعت»، و«لك سجدت»،[٣] وهذا أفضل من الدعاء. والترتيب هنا متّفق عليه فيما أعلم، فإنّى لم أعلم أحدًا قال إنّ التسبيح[٤] فيهما أفضل من التسبيح، كما قيل مثل ذلك فى الاستفتاح.

---

١ ــ قال فى «الاختيارات العلميّة» فى اختيارات ابن تيميّة (فى الجزء الرابع من فتاويه)، ص ٢٩: ويستحبّ أن يجمع فى الاستفتاح بين قوله «سبحانك اللّهمّ وبحمدك... إلى آخره» وبين «وجّهت وجهى... إلى آخره». وهو اختيار أبى يوسف وابن هبيرة ــ انتهى.

وذكر فى «نصب الراية» قول صاحب «الهداية» فقال: الحديث السابع، روى عن علىّ أنّ النبىّ صلّى الله عليه وسلم كان يجمع فى أوّل صلاته بين قوله «سبحانك اللّهمّ وبحمدك... إلخ» وقوله «وجّهت وجهى... إلخ»... وعن أبى يوسف أنّه يضمّ إليه قوله «وجّهت وجهى... إلخ» لرواية علىّ أنّه عليه السلام كان يقول ذلك... فلمّا جاءت الرواية بهذا استحسن أبو يوسف أن يقولهما المصلّى جميعًا ــ انتهى.

٢ ــ أخرجه البخارىّ، ومسلم، وأبو داود، والنسائىّ، وابن ماجه، بتمامه عن أبى هريرة.

٣ ــ أخرجه مسلم من حديث علىّ بن أبى طالب كما مرّ بيانه فى ص ١٩.

٤ ــ هكذا فى الأصل، وهو ظاهر الخطأ، ولعلّ صوابه «إنّ الدعاء فيهما افضل من التسبيح» أو «إنّ خبر العبد والدعاء أفضل من التسبيح».

الاعتراض بأنّ هذا الترتيب عكس الأسانيد

فإن قلتَ : هذا الترتيب عكس الأسانيد . فإنّه ليس فى الصحيحين حديثٌ عن النبىّ صلّى الله عليه وسلم فى استفتاح الفريضة إلّا هذا الدعاء « اللّهمّ ! باعد بينى وبين خطاياى » ، وقوله « وجّهت وجهى » فى صحيح مسلم . وحديث « سبحانك اللّهمّ » فى السنن ، وقد تُكلّم فيه . وقد روى أنّ هذا كان فى قيام الليل ، وكذلك قوله « وجّهت » .

جواب المصنّف عن هذا الاعتراض

﴿قلتُ﴾ : كون هذا ممّا بلغنا من طريقٍ أصحّ من هذا فى هذا ليس فى صفةٍ للذكر فى نفسه توجب فضله على الآخر ، لكنّه طريقٌ لعلمنا به . والفضيلة كانت ثابتةً عند النبىّ صلّى الله عليه وسلم وفى زمنه ـ قبل أن يبلغنا الأمر .

وقد ثبت فى الصحيح عن عمر بن الخطّاب أنّه كان يجهر بـ « سبحانك اللّهمّ وبحمدك ، وتبارك اسمك ، وتعالى جدّك ، ولا إله غيرك » يعلّمه الناس .[1] فلولا أنّ هذا من السنن المشروعة لم يكن يفعله هذا عمرُ ، ويقرّه المسلمون عليه .

وحديث أبى هريرة دليل على أنّ الاستفتاح لا يختصّ

---

١ ـ يشير إلى الأثر المنقطع الذى ذكره مسلم فى صحيحه استطراداً ، كما مرّ فى تعليق ١ ، ص ٢٩ . وقال الترمذىّ بعد إخراجه من جامعه : وهكذا روى عن عمر بن الخطّاب ، وعبد الله بن مسعود ، والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم من التابعين وغيرهم ـ انتهى .

بـ « سبحانك اللّهمّ » و « وجّهت وجهى » وغيرهما ، بل يستفتح بكلّ ما روى . لكنّ فضل بعض الأنواع على بعض يكون بدليل آخر ، كما قدّمنا .

كون « سبحانك اللّهمّ إلخ » أفضل الكلام بعد القرآن

وأيضًا فإنّ قوله « سبحانك اللّهمّ ـ إلى آخره » يتضمّن الباقيات الصالحات التى هى أفضل الكلام بعد القرآن ، كما فى صحيح مسلم عن النبىّ صلّى الله عليه وسلم أنّه قال : « أفضل الكلام بعد القرآن أربع وهنّ من القرآن : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلّا الله ، والله أكبر » .

وأيضًا ففى صحيح مسلم أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم سئل : أىّ الكلام أفضل ؟ قال : « ما اصطفى الله لملائكته ـ سبحان الله وبحمده » .[1] فهذه الكلمة هى أوّل ما فى هذا الاستفتاح ، وهى أفضل الكلام .

كون « سبحانك اللّهمّ إلخ » امتثالا لقوله ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾

وأيضًا فالله قد أمر بالتسبيح بحمده ، وعبّر بذلك عن الصلوة بقوله ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ ـ [الطور ٥٢ : ٤٨] . فكان ابتداء الامتثال بهذا الذكر أولى ، وقد قال طائفة من المفسّرين ـ

١ ـ أخرجه مسلم عن أبى ذرّ فى كتاب الذكر ، باب فضل سبحان الله وبحمده ، وفيه « لملائكته أو لعباده » .

كالضحّاك ـ فى تفسير هذه الآية : هو قول المصلّى « سبحانك اللّهمّ وبحمدك ، وتبارك اسمك ، وتعالى جدّك ، ولا إله غيرك » .[١]

معنى « سبحانك اللّهمّ وبحمدك »

وقد بسط الكلام على معنى هذه الكلمة فى غير هذا الموضع ، وبيّن أنّها تشتمل على التنزيه والتعظيم ، والتحميد بصفات النفى والإثبات ، وأفعاله كلّها ـ سبحانه وبحمده .[٢]

---

١ ـ أخرجه ابن جرير الطبرى فى تفسيره تحت هذه الآية عن الضحّاك بإسناده .

٢ ـ قد بسط المصنّف كلامه على معنى هاتين الكلمتين أثناء شرح دعاء ذى النّون فى فتاويه ، ج ٢ ، ص ٦٤-٢٦٢ ، هذا ملخّصه : «وقوله ‹ سبحانك › يتضمّن تعظيمه وتنزيهه عن الظلم وغيره من النقائص . فإنّ التسبيح ـ وإن كان يقال يتضمّن نفى النقائص ـ فالنفى لا يكون مدحا إلا إذا تضمّن ثبوتًا ، وإلا فالعدم المحض لا مدح فيه . ونفى السوء والنقص عنه يستلزم إثبات محاسنه وكماله ، ولله الأسماء الحسنى . و ‹ الحمد › إنّما يكون على المحاسن » ـ انتهى .

وقال ابن القيّم ـ رحمه الله ـ فى «كتاب الصلوة» : «وإذا قال العبد ‹ سبحانك اللّهمّ وبحمدك › ، شاهد بقلبه ربًّا منزّها عن كلّ عيب ، سالما من كلّ نقص ، محمودا بكلّ حمد . فحمده يتضمّن وصفه بكلّ كمال ، وذلك يستلزم براءته من كلّ نقص» .

# الفصل الرابع

## المواضع المشروع فيها التكبير والتحميد والتشهد، وبيان مناسباتها

مشروعية التكبير فى الأماكن العالية وعند الإعلان، والحمد فى الابتداء

التكبير مشروع فى الأماكن العالية، وحال ارتفاع العبد، وحيث يُقصد الإعلان، كالتكبير فى الأذان، والتكبير فى الأعياد، والتكبير إذا علا شرفًا، والتكبير إذا رقى الصفا والمروة، والتكبير إذا ركب الدابة. والتسبيح فى الأماكن المنخفضة، وحيث ما نزل العبد، كما فى السنن عن جابر قال: «كنّا مع النبيّ صلّى الله عليه وسلم إذا علونا كبّرنا، وإذا هبطنا سبّحنا، فوضعت الصلوة على ذلك».[1]

والحمد مفتاح كلّ أمر ذى بال - من مناجاة الربّ، ومخاطبة العباد بعضهم بعضا.

---

١ - ليس هذا من حديث جابر كما قال المصنّف - رحمه الله - بل هو معنى قطعة من آخر حديث ابن عمر أخرجه أبو داود فى الجهاد، باب ما يقول الرجل إذا سافر، ولفظه «وكان النبيّ صلى الله عليه وسلم وجيوشه إذا علوا الثنايا كبّروا، وإذا هبطوا سبّحوا، فوضعت الصلوة على ذلك». وأوّله: أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم كان إذ استوى على بعيره... الحديث. وأخرجه أيضًا مسلم، والترمذىّ، ولكن بدون هذه الزيادة فى آخره، وهى قوله: «فوضعت الصلوة على ذلك». أمّا حديث جابر فأخرجه البخارىّ فى موضعين من الجهاد، باب التسبيح إذا هبط واديًا، وباب التكبير إذا علا شرفًا، ولكن ليس فيه «فوضعت الصلاة على ذلك».

اقتران الشهادتين بالحمد، وبالتكبير

والشهادتان مقرونة بالحمد، وبالتكبير. فهى فى الأذان وفى الخطب خاتمة الثناء. فتُذكر بعد التكبير، ثم يخاطَب الناس - يقول المؤذّن: «حىّ على الصلوة، حىّ على الفلاح». وتذكر فى الخطب، ثم يخاطب الناس - يقول: «أمّا بعد». وتذكر فى التشهّد، ثم يتخيّر العبد من الدعاء أعجبه إليه.

فالحمد والتوحيد مقدَّم فى خطاب الخلق، وسؤال الخالق.

بيان وجه تقديم الحمد على التشهّد

والحمد له الابتداء. فإنّ الله لمّا خلق آدم عليه السلام أوّل ما أنطقه بالحمد؛ فإنّه عطس وقال: «الحمد لله رب العالمين»، فقال الله: «يرحمك ربّك»![1] فكان أوّل ما نطق به الحمد، وأوّل ما سمع من الله الرحمة. وبه افتتح الله أمّ القرآن.

والتشهّد هو الخاتمة. فأوّل الفاتحة ﴿اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ﴾، وآخر ما للربّ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾. وكذلك التشهّد[2] والخطب فيها التشهّد بعد الفاتحة. فإنّه يتضمّن إلهيّة الربّ، وهو أن يكون الربّ هو المعبود، وهذا هو الغاية التى ينتهى إليها

١ - كما هو مروىّ عن أنس، وأبى هريرة، وابن عبّاس، مرفوعًا وموقوفًا فى قصّة خلق آدم، أخرجها أحمد، والبزّار، وأبو يعلى، وابن حبّان، وابن جرير، وغيرهم.

٢ - أى تشهّد الصلوة.

أعمال العبد ـ و﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا﴾ ـ [الأنبياء ٢١: ٢٢].

بقاء الحمد فى الجنّة بخلاف العبادات العمليّة

لكن قدّم الحمد، لأنّ الحمد يكون من الله، ويكون من الخلق، وهو باقٍ فى الجنّة ـ فـ﴿آخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ـ [يونس ١٠: ١٠] ـ بخلاف العبادة. فإنّ العبادة إنّما تكون فى الدنيا بالسجود ونحوه، وتوحيدُه وذكره باقٍ فى الجنّة يُلهَمه أهل الجنّة كما يُلهم الناسُ النَفَسَ.[1]

وهذه الأذكار هى من جنس الأقوال، ليست من العبادات العمليّة، كالسجود، والقيام، والإحرام. والربّ تعالى يحمد نفسه، ولا يعبد نفسه. فالحمد أوسع العلوم الإلهيّة.

---

١ ـ كما رواه مسلم فى كتاب الجنّة، باب فى صفات الجنّة وأهلها وتسبيحهم فيها بكرة وعشيّة، من حديث جابر بن عبد الله، ولفظه: «إنّ أهل الجنّة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوّطون ولا يمتخطون». قالوا: فما بال الطعام؟ قال: «جشاء ورشح كرشح المسك، يُلهمون التسبيح والتحميد كما يُلهَمون النفس». وفى رواية له زاد «طعامهم ذلك». وكذلك أخرجه أحمد، والدارمىّ.

وللشيخ ابن القيّم ـ رحمه الله ـ بحث مستفيض فى «إثبات الحمد كلّه لله» فى كتابه «طريق الهجرتين وباب السعادتين» استوعب ٣٦ صفحة (ص ٧٦-١٤١ المطبعة المنيريّة، مصر، ١٣٥٧). أتى فيه بالعجائب من كونه سبحانه محمودا على ما خلقه وأمر به ونهى عنه، ومعنى كون حمده يملأ السمٰوات والأرض، وكونه شاملا لكلّ ما يُحدثه، وكونه موجب الحكمة فى مخلوقاته، وبيان نوعى الحمد: حمد الصفات وحمد النعم، وكونه محمودًا على ابتلاء خلقه بالمحن والآلام، إلخ.

كون الحمد به الافتتاح وبه الاختتام

والحمد يفتح به ويختم به. فالسنّة لمن أكل وشرب أن يحمد الله؛ وفى صحيح مسلم عن النبيّ صلّى الله عليه وسلم أنّه قال: «إنّ الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها».[1]

وقال تعالى ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ـ [الزمر ٣٩: ٧٥]، وقال تعالى ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ـ [يونس ١٠: ١٠].[2]

---

١ ـ أخرجه مسلم فى الذكر، وأحمد، والترمذىّ، والنسائىّ، عن أنس.

٢ ـ قال الحافظ ابن كثير تحت هذه الآية: «هذا فيه دلالة على أنّه تعالى هو المحمود أبدا، المعبود على طول المدى. ولهذا حمد نفسه عند ابتداء خلقه واستمراره، وفى ابتداء كتابه، وعند ابتداء تنزيله... إلى غير ذلك من الأحوال التى يطول بسطها. وأنّه المحمود فى الأولى والآخرة، فى الحياة الدنيا وفى الآخرة فى جميع الأحوال. ولهذا جاء فى الحديث: «إنّ أهل الجنّة يُلهَمون التسبيح والتحميد كما يُلهَمون النفَس» ـ اهـ.

# الفصل الخامس

## عظم شأن الدعاء الوارد في أم القرآن

شدّة اضطرار كلّ عبد إلى هذا الدعاء

وإنّما فرض عليه من الدعاء الراتب الذى يتكرّر بتكرّر الصلوات، بل الركعات ـ فرضها ونفلها ـ هو الدعاء الذى تتضمّنه أمّ القرآن. وهو قوله تعالى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ۞ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [١: ٧-٥].

لأنّ كلّ عبد فهو مضطرّ دائمًا إلى مقصود هذا الدعاء، وهو هداية الصراط المستقيم. فإنّه لا نجاة من العذاب إلّا بهذه الهداية، ولا وصول إلى السعادة إلّا به. فمن فاته هذا الهدى فهو إمّا من المغضوب عليهم، وإمّا من الضالّين.

كون الاهتداء لا يحصل إلا بهدى الله خلافا للقدريّة

وهذا الاهتداء لا يحصل إلّا بهدى الله ـ ﴿مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ ـ [الكهف ١٨: ١٧]. وهذه الآية ممّا يبيّن بها فساد مذهب القدريّة الذين[1] يزعمون أنّ العبد لا يفتقر

١ ـ كان فى الأصل « الذى ».

فى حصول هذا الاهتداء، بل كلّ عبد عندهم فمعه ما يحصل به الطاعة والمعصية ـ لا فرق عندهم بين المؤمن والكافر، ولم يخصّ الله المؤمن عندهم بهدى حصل به الاهتداء. والكلام عليهم مبسوط فى موضع آخر.[1] والمقصود هنا أنّ كلّ عبد فهو مفتقر دائمًا إلى حصول هذه الهداية.

حاجة العبد إلى خلق العلوم والإرادات بقلبه فى كلّ وقت

وأمّا سؤال من يقول: فقد هداهم إلى الإيمان فلا حاجة إلى الهدى، وجواب من يجيب بأنّ المطلوب دوام الهدى، فكلام من لم يعرف حقيقة حال الإنسان وما أمر به.

فإنّ الصراط المستقيم أن تفعل فى كلّ وقت ما أمرتَ به فى ذلك الوقت من علم وعمل، ولا تفعل ما نُهيتَ عنه. وهذا يحتاج فى كلّ وقت إلى أن يعلم ما أمر به فى ذلك الوقت وما نُهى عنه، وإلى أن تحصل له إرادة جازمة لفعل المأمور، وكراهة جازمة لترك المحظور.[2]

---

١ ـ كالفصل الثانى من تفسير سورة الشمس للمصنّف، ضمن «مجموعة تفسير ابن تيميّة»، طبعة الدار القيّمة، سنة ١٣٧٤هـ، ص ٧٢-١٦٦، وغيره.

٢ ـ قد تكرّر كلام العلّامة ابن القيّم ـ رحمه الله ـ فى هذا الموضوع فى مواضع من تصانيفه. منها ما ذكر فى «الجواب الكافى» بقوله: «... فإنّ الصراط المستقيم يتضمّن علومًا، وإرادة، وأعمالًا، وتروكًا ظاهرة وباطنة تجرى عليه كلّ وقت... إلخ».

وهذا العلم المفصّل والإرادة المفصّلة لا يتصوّر أن يحصل للعبد فى وقت واحد ، بل كلّ وقت يحتاج أن يجعل الله فى قلبه من العلوم والإرادات ما يهدى به فى ذلك الوقت .

لا بدّ من هداية التوفيق فضلا عن هداية البيان

نعم ، حصل له هدى محمّد بأنّ القرآن حقّ ودين الإسلام حقّ ، والرسول حقّ ، ونحو ذلك . ولكن هذا الهدى المجمل لا يغنيه إن لم يحصل له هدًى مفصّل فى كلّ ما يأتيه ويذره من الجزئيّات التى تحار فى كثير منها أكثر عقول الخلق ، ويغلب الهوى والشهوات أكثرَ الخلق لغلب الشبهات والشهوات على النفوس .[1]

دوام حاجة الإنسان إلى العدل المفصّل والعلم المفصّل

والإنسان خُلق ظلومًا جهولا . فالأصل فيه عدم العلم ، وميلُه إلى ما يهواه من الشرّ . فيحتاج دائما إلى علم مفصّل يزول به جهله ، وعدلٍ فى محبّته وبغضه ، ورضاه وغضبه ، وفعله وتركه ، وإعطائه ومنعه ؛ وكلّ ما يقوله ويعمله يحتاج فيه إلى عدلٍ ينافى ظلمَه . فإن لم يمنّ الله عليه بالعلم المفصّل والعدل المفصّل ، وإلّا كان فيه من الجهل والظلم ما يخرج به عن الصراط المستقيم .

---

١ ــ انظر بسط هذا الموضع من كتاب « شفاء العليل » لابن القيّم (رح) ، الباب الرابع عشر فى « الهدى والضلال ومراتبهما ، والمقدور منهما للخلق وغير المقدور لهم » ، ص ٨٥- ٦٥ .

وقد قال تعالى لنبيّه بعد صلح الحديبيّة وبيعة الرضوان ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۝ لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝ وَيَنْصُرَكَ اللهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ - [الفتح ٤٨: ١-٣]. فأخبر أنّه فعل هذا ليهديه صراطا مستقيما. فإذا كان هذا حاله فكيف حال غيره؟

كون الحاجة إلى الهداية أعظم منها إلى الرزق والنصر

و «الصراط المستقيم» قد فُسّر بالقرآن، والإسلام، وطريق العبوديّة. وكلّ هذا حقّ، فهو موصوف بهذا وبغيره.[1]

فحاجته إلى هذه الهداية ضروريّة فى سعادته ونجاته، بخلاف الحاجة إلى الرزق والنصر. فإنّ الله يرزقه، وإذا انقطع رزقه

---

١ - قد بيّن الشيخ ابن القيّم - رحمه الله - معنى «الصراط المستقيم» بعبارة جامعة وجيزة بقوله:

«هو طريق الله الذى نصبه لعباده على ألسن رسله، وجعله موصلا لعباده إليه، ولا طريق لهم إليه سواه، بل الطرق كلّها مسدودة إلّا هذا. وهو إفراده بالعبوديّة، وإفراد رسوله بالطاعة. فلا يشرك به أحدًا فى عبوديّته، ولا يشرك برسوله أحدًا فى طاعته. فيجرّد التوحيد، ويجرّد متابعة الرسول. ... ونكتة ذلك وعقده أن تحبّه بقلبك كلّه، وترضيه بجهدك كلّه. فلا يكون فى قلبك موضع إلّا معمور بحبّه، ولا تكون لك إرادة إلّا متعلّقة بمرضاته. والأوّل يحصل بالتحقيق بشهادة أن لا إلّه إلّا الله، والثانى يحصل بالتحقيق بشهادة أنّ محمّدًا رسول الله. وهذا هو الهدى ودين الحقّ، وهو معرفة الحقّ والعمل به. وهو معرفة ما بعث الله به رسله والقيام به» - انتهى ملخّصًا من «بدائع الفوائد»، ج ٢، ص ٤٠.

مات، والموت لا بـد منه. فإن كان من أهل الهداية كان سعيدا بعد الموت، وكان الموت موصِلاً له إلى السعادة الدائمة الأبديّة، فيكون رحمةً فى حقّه.

وكذلك النصر، إذا قُدّر أنّه قهر وغُلب حتى قتل، فإذا كان من أهل الهداية إلى الاستقامة مات شهيداً، وكان القتل من تمام نعمة الله عليه.

فتبيّن أنّ حاجة العباد إلى الهدى أعظم من حاجتهم إلى الرزق والنصر، بل لا نسبة بينهما.

بيان تضمّن هذا الدعاء حصول الرزق والنصر

فلهذا كان [هذا] الدعاء هو المفروض عليهم أيضًا. فإنّ هذا الدعاء يتضمّن الرزق والنصر، لأنّه إذا هُدى الصراطَ المستقيمَ كان من المتّقين، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا... الآية﴾ ــ [الطلاق ٦٥: ٢]؛[1] وكان ممن ينصر الله ورسوله، ومن ينصر اللهَ نصره الله؛ وكان من جند الله، وجند الله هم الغالبون.[2] فالهدى التامّ يتضمّن حصول أعظم ما يحصل به الرزق والنصر.

---

١ ــ تقرأ معها الآية التالية أيضًا ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ ليكمل الاستدلال بأنّ المتّقى مضمون الرزق.

٢ ــ كما قال تعالى ﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ ــ [الصّافّات ٣٧: ١٧٢].

فتبيّن أنّ هذا الدعاء هو الجامع لكلّ مطلوب ـ يحصل به كلّ منفعة، ويندفع به كلّ مضرّة. فلهذا فرض على العبد.

عظم فضل الفاتحة على سائر الكلام

وهذا يبيّن لك أنّ غير الفاتحة لا يقوم مقامها أصلا، وأنّ فضلها على غيرها من الكلام أعظم من فضل الركوع والسجود على سائر أفعال الخضوع. فإذا تعيّنت الأفعال فهذا القول أولى.

والحمد لله ربّ العالمين، وصلواته على سيّدنا محمّد وآله وصحبه أجمعين.

— تمّ ولله الحمد —

يقول ناسخه الفقير إلى ربّه الغنيّ عبد الصمد شرف الدين السافيّ:
فرغت من كتابته مساء يوم السبت ٢٨ خلون من شوّال عام
١٣٦٩ من الهجرة النبويّة، الموافق ١٢ أغسطس
سنة ١٩٥٠ الميلاديّة، بدار الكتب المصريّة
بالقاهرة، فلله الحمد وله الشكر

بسم الله الرحمن الرحيم

# مطالب سورة البقرة إجمالا [١]

## فصل

فإنّ الله افتتحها بذكر الكتاب الهادى للمتّقين، فوصف حال أهل الهدى والفلاح، وهم المؤمنون. ثم وصف حال الكافرين، ثم حال المنافقين. فهذه جمل خبريّة. ثم أخذ فى ذكر الجمل الطلبيّة، فدعا الناس إلى عبادته وحده لا شريك له. ثم ذكر دلائل ربوبيّته ممّا تفضّل به على خلقه من فرش الأرض، وبناء السماء، وإنزال الماء، وإخراج الثمار رزقًا للعباد. ثم قرّر الرسالة بالتحدّى وبيّن عجز العباد، وذكر الوعيد والوعد. ثم ذكر مبتدأ النبوّة والهدى، وما بثّه فى العالم من الخلق والأمر.

ثم ذكر تعليم آدم الأسماءَ، وإسجاد الملئكة له لما شرّفه به من العلم. فإنّ هذا تقرير لجنس ما بعث به محمّدًا صلّى الله عليه وسلم من الهدى ودين الحقّ، فقصّ جنس دعوة الأنبياء. ثم انتقل إلى خطاب بنى إسرائيل وقصّة موسى صلّى الله عليه وسلم معهم، وضمن ذلك تقرير نبوّة موسى الذى هو قرين محمّد صلّى الله عليه وسلم. فذكر آدم الذى هو أوّلٌ وأصلٌ، وموسى الذى هو نظيره. وهما اللذان اجتمعا فاحتجا. وموسى هو الذى قتل نفسًا فغفر الله له، وآدم أكل من الشجرة فتاب عليه وهدى.

وكان فى قصّة موسى ردّ على الصابئة ونحوهم ممّن يُقرّ بجنس النبوّات ولا يوجبون اتّباع ما جاءوا به، وقد يتأوّلون أخبار الأنبياء وأمرهم. وفيها ردّ على اليهود والنصارى بما تضمّنه ذلك من الأمر بالإيمان بما جاء به محمّد، وتقرير نبوّته، وذكر حال من عدل عن النبوّة إلى السحر. وذكر النسخ الذى ينكر بعض اليهود فى ضمن ذلك. وذكر النصارى، وأنّ الأمّتين لن ترضى عنه حتّى تتّبع ملّتهم. وكان هذا كلّه فى تقرير أصول الدين من الوحدانيّة والرسالة، وهو شهادة بأن لا إله إلا الله، وأنّ محمّدًا عبده ورسوله.

---

١ ــ قطعة فى آخر تفسير سورة البقرة من المجلد التاسع من «الكواكب الدرارى» لابن عروة.

## فصل

ثم أخذ سبحانه فى بيان شرائع الإسلام المبنىّ على ملّة إبراهيم. فذكر إبراهيم الذى هو إمام الناس، وبناءه البيت الذى بتعظيمه يتميّز الإسلام عمّا سواه، وذكر استقباله وقدر ذلك. فإنّ استقبال القبلة شعار الملّة الفارق بين أهلها وغيرهم. ولهذا يقال «أهل القبلة» و «غير أهل القبلة»، كما قال: «من صلّى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم، له ما لنا، وعليه ما علينا».

وذكر من المناسك ما يختصّ ويتعلّق بالمكان ولا يختصّ بالزمان. وذلك أنّ الحجّ له مكان وزمان، والعمرة منه لها المكان دون الزمان، لكن لها إحرام وإحلال. والطواف به يختصّ بالمكان ولا يتقيّد بزمان ولا بإحرام. والعكوف والركوع والسجود يشرع فيه ولا يتعبّد به، ولا بمكان ولا زمان. ولكن الصلوة تتقيّد باستقباله، لا فيه ولا بمكانه، والعكوف لا يتقيّد بشىء من ذلك. فذكر سبحانه هذه الأنواع الخمسة من العكوف، والصلوة، والطواف، والعمرة، والحجّ.

فافتتح الكلام بذكر البيت، ثم أتبع ذلك بما يتعلّق بالبيت من الطواف بين الجبلين المكتنفين للبيت ــ وهما الصّفا والمروة ــ وبيّن أنّهما من شعائره، وأنّ الطواف بينهما للحاجّ والمعتمر أمرٌ لا جناح فيه، جوابًا لما كان عليه الأنصار فى الجاهليّة من كراهة الطواف بهما لأجل إهلالهم لمناة الثالثة الأخرى التى كانت حذو قديد بالساحل؛ وجوابًا لقوم توقّفوا عن الطواف بهما لمّا وجدوا القرآن يذكر الطواف بالبيت دون الطواف بهما، مع أنّهم كانوا يطوفون بهما فى الجاهليّة. فأولئك الذين كانوا يكرهونهما قديمًا كرهوهما حديثاً استصحابًا للحال، والذين خافوا أن لا يكون الطواف بهما مشروعًا مع كونهم كانوا يطوفون بهما، أجيبوا عن ذلك.

وجاء ذكر الطواف بعد جميع العبادات المتعلّقة بالبيت، بل وبالقلوب والأبدان والأموال، بعد ما أمروا به من الاستعانة بالصبر والصلوة اللذين لا يقوم الدين إلّا بهما، كما أمر بمثل ذلك بنى إسرائيل فى هذه السورة. وكان ذلك مفتاح الجهاد الموسّس على الصبر، لأنّ ذلك من تمام أمر البيت، لأنّ أهل الملل الفاسدة يخالفون فيه. فلا يقوم

أمر البيت إلا بالجهاد عنه.

وذكر الصبر على الأمر المشروع والأمر المقدور، وبيّن ما أنعم به على هذه الأمّة من البشرى للصابرين المسترجعين. فإنّها أعطيت ما لم تعطه الأمم قبلها من أمم الأنبياء. فكان ذلك من خصائصها وشعائرها، كالعبادات المتعلّقة بالبيت. ولهذا يقرن بين الحجّ والجهاد لدخول كلّ منهما فى قوله تعالى ﴿سبيل الله﴾. فأمّا الجهاد فهو من سبيل الله، بل أعظم سُبُل الله بالنصّ والإجماع. وكذلك الحجّ فى أصحّ القولين، كما دلّ عليه قوله «الحجّ من سبيل الله». وقد بيّن أنّ هذا معروف عند أهل الكتاب بذمّه لكاتم العلم، وذكر ما عليه من الإثم.

ثم قرّر أنّه لايقبل ديناً غير ذلك، فقال فى أوّل السورة ﴿فَلاَ تَجْعَلُوا لِلّهِ أَنْدَاداً﴾. فالآية الأولى نهىٌ عامٌّ، والآية الثانية نهىٌ خاصٌّ. وذكرها بعد البيت لينهى عن قصد الأنداد المضاهية له ولبيته من الأصنام والمقابر ونحو ذلك. ثم وحّد نفسه قبل ذلك، وأنّه ﴿لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَـنُ الرَّحِيمُ﴾. ثم ذكر ما يتعلّق بتوحيده وربوبيّته من الآيات الدالّة على وحدانيّته الباهرة للعقول. ثم ذكر الحلال والحرام، وأطلق الأمر فى المطاعم، لأنّ الرسول بعث بالحنيفيّة وشعارها، وهو البيت. وذكر سماحتها فى الأموال المباحة وفى الدماء بما شرعه من القصاص ومن أخذ الدية.

## فصل

ثم ذكر العبادات المتعلّقة بالزمان. فذكر الوصيّة المتعلّقة بالموت، وهى مطلقة. ثم ذكر الصيام المتعلّق بشهر رمضان، وهو وقت معيّن. وذكر من يلزمه صيامه ومن يجزيه عدّة من أيّام أخر، وما يتّصل به من الاعتكاف.

فذكر العكوف فى عبادات المكان، وفى عبادات الزمان تارةً ــ بذكره مع الصيام. فإنّ العكوف يختصّ بالمسجد، ويختص بالزمان استحباباً أو وجوباً بوقت الصيام. ووسّطه أولاً بين الطواف والصلوة، لأنّ الطواف يختصّ بالمسجد الحرام، والصلوة تشرع فى جميع الأرض ــ فإنّها جعلت لنا مسجداً وطهوراً ــ والعكوف بينهما. فإنّه أعمّ من موضع

الطواف، وأخّص من موضع الصلوة، لاختصاصه بالمساجد التى بنيت للصلوات الخمس.

ثم أتبع ذلك بالنهى عن أكل الأموال بالباطل والتوسّل بها إلى الحكّام. وذلك أنّ المحرَّم نوعان، ليس إلّا: نوعٌ حُرّم لعينه كالدم والميتة ولحم الخنزير، ونوع حُرّم لكسبه، وهو المأكول بالباطل، كالربا والميسر والمغصوب. فأتبع المعنى الثابت بالمحرّم الثابت تحريمه لعينه، وهو الدم والميتة ولحم الخنزير. وذكر فى أثناء عبادات الزمان المنتقل الحرامَ المنتقل، وهو أكل المال بالباطل. فإنّه سبحانه ذكر الواجب والمحرّم ـ ذكر المأمور به والمنهىّ عنه الثابت سببهما أوّلاً، ثم ذكر المأمور به المنهىّ عنه المنتقل سببهما ثانياً.

ولهذا أتبعه بقوله ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾، وهى أعلام العبادات الزمنية ومواقيتها وأسبابها. وأخبر أنّه جعلها مواقيت للناس فى أمر دينهم ودنياهم، والحجّ، لأنّ البيت تحجّه الملائكة والجنّ. وكان هذا نصًّا فى أنّ الحجّ موقّت بالهلال الزمانىّ كما أنه موقّت بالبيت المكانىّ. ولهذا ذكر بعد هذا من أحكام الحجّ ما يختصّ بالزمان مع المكان من إتمام الحجّ والعمرة، وذكر حكم المُحصَر الممنوع من الإتمام. وذكر تقديم الإحلال المتعلّق بالمال، وهو نحر الهَدْى، عن الإحلال المتعلّق بالنفس، وهو الحلق، لأنّ المتحلّل يخرج من إحرامه فيحلّها بالأسهل فالأسهل. ولهذا كان آخر ما يحلّ عند الوطىء، فإنّه أعظم المحظورات، ولا تفسد النُّسُك بمحظور سواه.

وذكر المتمتّع بالعمرة إلى الحجّ لتعلّقه بالزمان مع المكان، فإنّه لا يكون متمتّعًا حتى يُحرم بالعمرة فى أشهر الحجّ وحتى لا يكون أهله حاضرى المسجد الحرام ـ وهو الأفقىّ. فإنّه هو الذى يظهر التمتّع فى حقّه لترفّهه بسقوط أحد السفرين عنه إذا تمتّع. أمّا الذى هو حاضرٌ أهلُه المسجد الحرام فسيّان عنده تَمتّعَ بالعمرة إلى الحجّ أو اعتمر قبل أشهر الحجّ، فإنّه لم يحتج إلى سفر.

ثم ذكر وقت الحجّ، وأنّه أشهر معلومات. وذكر الإحرام بالحجّ، والوقوف بعرفة ومزدلفة. فإنّ هذه المناسك تختصّ بزمان ومكان، ولهذا قال ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾ ولم يقل «والعمرة»، لأنّ العمرة تشرع فى كلّ وقت. ولا ريب أنّ السنّة فرض الحجّ فى أشهره، ومن فرض قبل أشهره فقد خالف السنّة، فإمّا أن يلزمه ما التزمه

كالنذر المذكور، إذ ليس فى ذلك نقص للمشروع، وليس هو كمن صلّى قبل الوقت، وإمّا أن يلزمه الإحرام ويسقط الحجّ، فيكون معتمرًا. وهذان قولان مشهوران فى المسألة.

ثم أمر عند قضاء المناسك بذكره. وقضاؤها ـ والله أعلم ـ هو قضاء التفث والإحلال. ولهذا قال بعد ذلك ﴿وَاذْكُرُوا اللهَ فِى أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾. وهو أيضًا من العبادات الزمانيّة المكانيّة. وهو ذكر الله مع رمى الجمار، وذكره مع الصلوات. وقد دلّ على أنّه مكانىّ مع الزمانىّ قوله ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ، لِمَنِ اتَّقَى﴾. وإنّما يكون التعجيل والتأخير بالخروج عن المكان المعيّن، ولو كانت عامّة لم يكن تعجيل. ولهذا تضاف هذه الأيّام إلى مكانها، فيقال «أيّام منًى»، وإلى عملها فيقال «أيّام التشريق»، كما يقال «ليلة جمع» و «ليلة مزدلفة» و «يوم عرفة» و «يوم الحجّ الأكبر» و «يوم العيد» و «يوم الجمعة». فتضاف إلى الأعمال وأماكن الأعمال، إذ الزمان تابع للحركة، والحركة تابعة للمكان.

فتدبّر تناسب القرآن وارتباط بعضه ببعض. وكيف ذكر أحكام الحجّ فى هذه السورة فى موضعين ـ موضع ذكر فيه بيته وما يتعلّق بمكانه، وموضع ذكر فيه الأهلّة، فذكر ما يتعلّق تركّبه بزمانه.

وذكر أيضًا القتال فى المسجد الحرام والمقاصّة فى الشهر الحرام، لأنّ ذلك ما يتعلّق بالزمان المتعلّق بالمكان. ولهذا قرن سبحانه ذكر كون الأهلّة مواقيت للناس والحجّ. وذكر أن البرّ ليس فى أن يُشقى الرجل نفسه ويفعل ما لا فائدة فيه من كونه يبرز للسماء فلا يستظلّ بسقف بيته، حتّى إذا أراد دخول بيته لا يأتيه إلّا من ظهره. فأخبر أنّ الهلال الذى جُعل ميقاتًا للحجّ لم يتضمّن شرعًا مثل هذا، وإنّما يتضمّن شرعَ التقوى.

ثم ذكر بعد ذلك ما يتعلّق بأحكام النكاح والوالدات، وما يتعلّق بالأموال والصدقات، والربا والديون، وغير ذلك. ثم ختم السورة بالدعاء العظيم المتضمّن وضع الآصار والأغلال، والعفو والمغفرة والرحمة، وطلب النصر على القوم الكافرين الذين هم أعداء ما شرع من الدين فى كتابه المبين. والحمد لله ربّ العالمين.

—— تمّ ولله الحمد ——

# الفهرس العامّ لمباحث الكتاب

## الإخبار، الخبر:


أفضل الإخبار ما كان خبراً عن الله ٢
تضمّن قوله «وجّهت وجهى إلخ» الإخبار والدعاء ٢٩
كون آية الكرسىّ خبراً عن الله ٢
كون الإخبار أفضل من الدعاء ودون الثناء ٢٠، ٣٠
كون إخبار العبد عن عبادته هو النوع المتوسّط من أنواع الأذكار الثلاثة ٢، ١٩
كون ترتيب أذكار الركوع والسجود بتقديم الثناء ثم الإخبار ثم الدعاء متّفقاً عليه ٣٠
كون الذكر والتسبيح فى الركوع والسجود أفضل من خبر العبد ٣٠
كون ﴿قل هو الله أحد﴾ خبراً عن الله وصفة له ٢، ٢١
كون الكلام إمّا إخباراً وإمّا إنشاءً ٢
كون مقصود إخبار العبد عن عبادته مطلوب العبد ٢٠، ٢٢
كون مقصود إخبار ما يحبّه الله ويأمر به محبوباً للحقّ ٢٠
النوع الثانى من الاستفتاح ما كان خبراً عن عبادة العبد ٢٩


## الأذان:


بيان ترتيب أقوال الأذان بالتكبير ثم الشهادتين ثم خطاب الناس بـ«حىّ على الصلوة وحىّ على الفلاح» ٣٥
كون الأذان هو ذكر الله يقصد به الإعلام بوقت العبادة وفعلها ٢٤
كون التكبير مشروعاً فى الأذان ٣٤
كون الشهادتين خاتمة الثناء فى الأذان والخطب ٥٣


## الاستفتاح:


اختلاف وجوب أذكار الصلوة من جنس الثناء كدعاء الاستفتاح ١٩
اختيار ابن بطّة وغيره وجوب الذكر الذى هو ثناء فى الصلوة كالاستفتاح ١٩
أدنى أنواع الاستفتاح ما كان دعاء العبد ٢
اشتمال «سبحانك اللّهمّ وبحمدك» على التنزيه والتعظيم والتحميد بصفات النفى والإثبات ٣٣
أفضل أنواع الاستفتاح ما كان ثناءً على الله ٣، ٢٨
أنواع الاستفتاح الثلاثة ٢، ٢٨
بيان التفاضل بين القولين «سبحانك اللّهمّ وبحمدك إلخ» و«الله أكبر كبيراً إلخ» ٢٨
بيان درجات الاستفتاح الثلاثة من حيث الإسناد ٣١
بيان القول بخلاف تقديم الثناء ثم الإخبار ثم الدعاء فى الاستفتاح ٣٠
تضمّن قوله «الله أكبر كبيراً إلخ» الثناء على الله ٢٨
تضمّن قوله «سبحانك اللّهمّ وبحمدك إلخ» الباقيات الصالحات ٢٨
تضمّن قوله «سبحانك اللّهمّ وبحمدك إلخ» الثناء على الله ٢٨
تضمّن قوله «وجّهت وجهى إلخ» الإخبار والدعاء ٢٩
تفاضل الأذكار بتقديم الثناء ثمّ الإخبار ثمّ الدعاء من أذكار الاستفتاح ٣٠
تفسير بعض المفسّرين كالضحّاك الآية ﴿وسبّح بحمد ربك﴾ بقول المصلّى «سبحانك اللهم وبحمدك إلخ» ٣٣

التفريق بين طريقة إبلاغ شيئين وثبوت فضل أحدهما على الآخر ٣١
الجمع بين قوله «سبحانك اللّهمّ وبحمدك إلخ» و«وجهت وجهى إلخ» فى الاستفتاح
ـــ اختيار أبى يوسف، وابن هبيرة، والمصنّف ذلك ٢٩-٣٠
ـــ بيان أنّه أفضل الاستفتاحات ٢٩
ـــ بيان الحديث بذلك (تعليق) ٢٩
ـــ كونه مصرّحا به فى الحديث ٢٩
حديث «اللّهمّ باعد إلخ» فيه دليل على تنوّع الاستفتاحات ٣٢
دعاء الاستفتاح بقوله «الله أكبر كبيرا إلخ» ٢٨
دعاء الاستفتاح بقوله «اللّهمّ باعد بينى وبين خطاياى إلخ» ٣٠
دعاء الاستفتاح بقوله «سبحانك اللّهمّ وبحمدك إلخ» ١١، ٢٨، ٣١، ٣٣
دعاء الاستفتاح بقوله «وجهت وجهى إلخ» و«إنّ صلاتى ونسكى إلخ» ١٩، ٢٩، ٣١
زيادة الثناء فى قوله «سبحانك اللّهمّ إلخ» على ما فى قوله «الله أكبر كبيرا إلخ» ٢٨
كون الاستفتاح غير مختصّ بنوع أو نوعين فقط ٣٢
كون أكثر السلف يستفتحون بقوله «سبحانك اللّهمّ إلخ» ٢٩
كون ترتيب أذكار الاستفتاحات بتقديم الثناء ثمّ الإخبار ثم الدعاء معترضاً عليه من جهة صحّة الأسانيد ٣١
كون حديث «سبحانك اللّهمّ» قد تُكلّم فيه ٣١
كون عمر بن الخطّاب يجهر بقوله «سبحانك اللّهمّ إلخ» عند الاستفتاح ليعلّمه الناس ٢٩، ٣١
كون فضيلة «سبحانك اللّهمّ» ثابتة عند النبىّ (ص) قبل بلوغ روايته إلينا ٣١
كون قوله «سبحانك اللّهمّ» وقوله «وجهت» مختصّا بقيام الليل ٣١
الموافقة بين أوّل «سبحانك اللّهمّ وبحمدك إلخ» وبين «سبحان الله وبحمده» الذى هو أفضل الكلام ٣٢
النوع الثالث من الاستفتاح ما كان ثناء ٣٠
النوع الثانى من الاستفتاح ما كان خبرا عن عبادة العبد ٢٩
النوع المتوسّط ما كان إخبار العبد عن عبادته ٢
وجه كون حديث «اللّهمّ باعد» أصحّ رواية من حديث «سبحانك اللّهمّ» لا يوجب فضل الذكر الأوّل على الثانى ٣١، ٣٢
وجوب الذكر الذى هو ثناء فى الصلوة كالاستفتاح عند أحمد وأصحابه ١٩

## الإسناد، الأسانيد:

البحث عن أسانيد أذكار الاستفتاح ٣١
كون إسناد بعض الأذكار أصحّ من إسناد بعض لا يستلزم فضل تلك الأذكار على هذه ٣١

## الاعتدال:

حديث «فإذا قال سمع الله لمن حمده فقولوا ربّنا ولك الحمد» ٧، ١١
حديث قول «اللّهمّ باعد بينى إلخ» بعد التحميد فى الاعتدال ٧
مشروعيّة الاقتصار على الثناء فى الاعتدال ٩
مشروعيّة التحميد فى الاعتدال بالإجماع ٧
ورود الدعاء فى الاعتدال بعد التحميد أحيانا ٧

## الأعلام:

آدم ٣٥
أحمد ٨، ٩، ١٩، ٢٧
أحمد، أصحابه ١٩، ٢٣

ابن بطّة ١٩
ابن تيميّة، أبو البركات جدّ المصنّف ٢٣
ابن تيميّة، أبو العبّاس تقيّ الدين ١
الشافعيّ، أصحابه ٢٣
الضحّاك ٢٣
طاوس ٩
عبيد الله بن عتبة ٧
ابن عروة المشرقيّ ١
عمر بن الخطّاب ٢٩، ٣١
مالك ٨، ٩
مالك، أصحابه ٩
ابن مسعود ٢٣
ابن هبيرة الوزير ٢٩
أبو يوسف صاحب أبي حنيفة ٢٩

## الإنسان، العبد:

ابتداء السلوك لا بدّ فيه من ذكر الإنسان كما في التشهّد ٢٢
تضمّن حديث الدعاء عند القيام من الليل الخبر عن توحيد العبد ٢٢
حديث «إذا قال العبد ﴿الحمد لله ربّ العالمين﴾ قال الله حمدني عبدي» ٢٦
حديث «أقرب ما يكون العبد من ربّه وهو ساجد» ٥
حديث «إنّ الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها إلخ» ٣٧
حديث «ثمّ يتخيّر العبد من الدعاء أعجبه إليه» ٤، ٣٥
شدّة اضطرار العبد إلى هداية الصراط المستقيم ٣٨
كون إخبار العبد عن عبادته هو النوع المتوسّط من أنواع الأذكار الثلاثة ٢، ١٩
كون الأصل في الإنسان عدم العلم والميل إلى الهوى والشرّ ٤٠
كون الإنسان إذا هدى الصراط المستقيم كان من المتّقين المضمون لهم الرزق والنصر بقوله ﴿ومن يتّق الله يجعل له-الآية﴾ ٤٢
كون الإنسان خلق ظلوما جهولا ٤٠
كون الإنسان سعيدا بعد الموت إن كان من أهل الهداية ٤٢
كون الإنسان المتّقى من المنصورين الغالبين ٤٢
كون الإنسان يحتاج إلى عدلٍ في محبّته وبغضه، ورضاه وغضبه، وفعله وتركه، وإعطائه ومنعه ٤٠
كون الإنسان يحتاج دائما إلى علم مفصّل يزول به جهله ٤٠
كون الإنسان يحتاج في كلّ ما يقوله ويعمله إلى عدلٍ ينافي ظلمه ٤٠
كون الإنسان يخرج بجهله وظلمه عن الصراط المستقيم ٤٠
كون الإنسان يخرج عن جهله وظلمه بالعلم المفصّل والعدل المفصّل ٤٠
كون الإنسان يرزقه الله الرزق وإذا انقطع رزقه مات ٤١، ٤٢
كون الإنسان يموت شهيدا إذا قتل إن كان من أهل الهداية فيكون القتل من تمام النعمة عليه ٤٢
كون التكبير مشروعا للعبد حال ارتفاعه ٢٤
كون حاجة الإنسان إلى هداية الصراط المستقيم ضروريّة في سعادته ونجاته بخلاف حاجته إلى الرزق والنصر ٤١
كون حاجة العباد إلى الهدى أعظم من حاجتهم إلى الرزق والنصر ٤٢
كون خبر الإنسان عن نفسه سلوكا يشهد فيه نفسه ٢٢

كون دعاء ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ فرضًا على العباد ٤٢
كون الذكر المحض لا يشاب بذكر الإنسان ٢٢
كون الذكر والتسبيح فى الركوع والسجود أفضل من خبر العبد ٣٠
كون العبادة بالسجود ونحوه تكليفاً على العبد فى الدنيا فقط ٣٦
كون العبادة المحضة لا يدخل فيها ذكر الإنسان ٢٢
كون مقصود إخبار العبد عن عبادته مطلوب العبد ٢٠، ٢٢
كون الموت موصلا للإنسان إلى السعادة الدائمة الأبديّة فيكون رحمة فى حقّه ٤٢
لم كان دعاء ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ فرضا على العبد ٤٣
النوع الثانى من الاستفتاح ما كان خبرا عن عبادة العبد ٢٩

## الإيمان، المؤمن:

قول القائل لا حاجة للمهتدى إلى الإيمان إلى تكرار طلب الهدى ٣٩
كون التشهّد إيمانا بالنبىّ (ص) وكون الصلوة عليه دعاء له ٢٣
كون الثناء المشروع يستلزم الإيمان بالله ١١، ١٢
كون الحمد والثناء أحبّ إلى المؤمن من مقصود السائل ١٨
كون المثنى يحصل له مقصود السائل، وإنّما يتمّ ذلك لمن حصل إيمانه ١٨
كون اليهود والنصارى ليس فى عباداتهم ثناء إلّا بعض المأثور عن الأنبياء، وهو كثناء أهل الإيمان ١٢

## الباقيات الصالحات:

بيان تضمّن الحمد والتشهّد للباقيات الصالحات ٢٧
تضمّن آية ﴿فادعوا الله مخلصين له الدين، الحمد لله ربّ العالمين﴾ للباقيات الصالحات ٢٧
تضمّن قوله «سبحانك اللّهمّ إلخ» الباقيات الصالحات ٢٨، ٣٢
حديث أفضل الكلام بعد القرآن أربع ٦، ٢٠، ٣٢
حديث أمر العاجز عن القرآن بذكرها فى الصلوة ٧، ٢٠
حديث بيان ما هى الباقيات الصالحات (تعليق) ٢٧
كون الباقيات الصالحات هى أفضل الكلام بعد القرآن ٢٨
كونها تقال فى حال العبادة المحضة ٢٢

## البسملة، التسمية:

الاستدلال على عدم الجهر بالبسملة لكونها لم تذكر فى حديث قسمة الصلوة ٢٦
أعدل الأقوال الثلاثة للعلماء فى التسمية ٢٦
ذكر أحاديث القول بعدم الجهر بالبسملة ٢٦
ذكر القول الثانى والثالث فى البسملة (تعليق) ٢٦
قول القارئ «بسم الله» معناه «باسم الله أقرأ» ٢٥
كون افتتاح الخطب بالبسملة وإن لم تكن قرآنا ٢٦
كون البسملة آية مفردة فى أوّل السورة وليست من السورة ٢٦
كون البسملة أنزلها الله فى أوّل كلّ سورة وهى من القرآن ٢٦
كون البسملة لا يجهر بها فى الخطب ٢٦
كون البسملة وسيلة مقصودة لغيرها ٢٥، ٢٦
كون التسمية شرعت فى افتتاح الأعمال كلّها ٢٥
كون التسمية عند الذبح من شعائر التوحيد ٢٦
كون الصلوة والقراءة تفتتح بالتسمية كسائر الأعمال ٢٦
كون العامل يسمّى الله عند الأكل والشرب وغير ذلك من الأعمال ٢٥، ٢٦

## التحميد :

اشتمال « سبحانك اللّهمّ وبحمدك » على التنزيه والتعظيم والتحميد بصفات النفى والإثبات ٣٣
إيجاب التحميد فى الصلوة عند أحمد وأصحابه ١٩
كون التسبيح والتحميد باقيين فى الجنّة يلهمهما أهل الجنة بخلاف العبادات ٣٦

## التسبيح :

اتّفاق العلماء على أنّ التسبيح أفضل من الدعاء فى الركوع والسجود ٣٠
حديث « إذا علونا كبّرنا وإذا هبطنا سبّحنا إلخ » ٣٤
كون التسبيح فى الأماكن المنخفضة وحيث ما نزل العبد ٣٤
كون التسبيح والذكر فى الركوع والسجود أفضل من خبر العبد ٣٠
كون الحمد يتبعه التسبيح ٢٧
كونه تعالى أمر بالتسبيح بحمده وعبّر بذلك عن الصلوة بقوله ﴿وسبح بحمد ربّك ـ الآية﴾ ٣٢
مشروعيّة الاقتصار على التسبيح فى الركوع والسجود ٩
وجوب التسبيح فى الركوع والسجود عند أحمد وأصحابه ١٩

## التسميع :

إيجاب التسميع فى الصلوة عند أحمد وأصحابه ١٩

## التشهّد ، الشهادة ، الشهادتان :

بيان ترتيب الأذان بتقديم التكبير ثم الشهادتين ثم خطاب الناس بـ « حىّ على الصلوة وحىّ على الفلاح » ٣٥
بيان ترتيب الخطب بتقديم الثناء ثم الشهادتين ثم خطاب الناس بقوله « أمّا بعد » ٣٥
تضمّن قوله تعالى ﴿لو كان فيهما آلهة إلّا الله لفسدتا﴾ معنى التشهّد ٣٦
تقديم الحمد فى الخطب على التشهّد ٢٥
حديث « كلّ خطبة ليس فيها تشهّد إلخ » ٢٣
كون التشهّد إيمانا بالنبىّ (ص) وكون الصلوة عليه دعاء له ٢٣
كون التشهّد شرع فى الأذان الذى هو الإعلام بوقت العبادة ٢٤
كون التشهّد فى تشهّد الصلوة والخطب بعد افتتاحها بالثناء والحمد ٣٥
كون التشهّد مشروعا فى تشهّد الصلوة ٢٤
كون التشهّد مشروعا فى الخطاب والثناء ٢٤
كون التشهّد مشروعا فى الخطبة التى هى خطاب مع الناس ٢٤
كون التشهّد هو الخاتمة ٣٥
كون التشهّد يتبعه التكبير ٢٧
كون التشهّد يتضمّن إلهيّة الربّ وكون الربّ هو المعبود ٣٥
كون التشهّد يتضمّن غاية العبوديّة المنتهية إليها أعمال العبد ٣٥-٣٦
كون « الحمد لله » والتشهّد لا بدّ منهما فى الخطبة ٢٧
كون الشهادة بها يصير مسلما ابتداء ٢٢
كون الشهادة هو الأصل والأساس ٢٢
كون الشهادتين خاتمة الثناء فى الأذان والخطب ٣٥
كون الشهادتين ركناً فى خطبة الصلوة وهى التشهّد ٢٣، ٣٥
كون الشهادتين مبدأ الدخول فى الإسلام ٢٢
كون الشهادتين مقرونة بالحمد والتكبير ٣٥

## التشهّد فى الصلوة :

الأدعية الشرعيّة هى بعد التشهّد ٤، ٩
إيجاب التشهّد الأخير ٨
إيجاب التشهّد الأوّل ٨
حديث «ثمّ يتخيّر من الدعاء أعجبه إليه» ٤، ٣٥
دعاء التشهّد «التحيّات لله إلخ» ١١
كون التشهّد ثناء على الله ٤
كون التشهّد خطبة الصلوة ٢٣
كون تشهّد الصلوة ثناء على الحقّ مشروعاً فيه التشهّد ٢٤
كون التشهّد فى تشهّد الصلوة بعد افتتاحه بالثناء ٣٥
كون السلام على النبيّ (ص) مقدّما فى التشهّد على السلام على غيره ٢٤
كون الشهادتين ركنا فى التشهّد ٢٣، ٣٥
كون الشهادتين فى خطبة الحاجة (خطبة ابن مسعود) ٢٣
كون الشهادتين فى الخطب المشروعة كخطب الجمع وغيرها ٢٣
لا بدّ من الشهادة للنبيّ (ص) فى التشهّد فى الصلوة ٢٤

## التكبير :

إيجاب تكبيرة الانتقال عند مالك وأحمد ٨، ١٩
بيان ترتيب الأذان بتقديم التكبير ثم الشهادتين ثم خطاب الناس بـ«حيّ على الصلاة وحيّ على الفلاح» ٣٥
حديث «إذا علونا كبّرنا إلخ» ٣٤
قول من قال تفتتح خطبة العيد بالتكبير ٢٧
كون التشهّد يتبعه التكبير ٢٧
كون الشهادتين مقرونة بالحمد والتكبير ٣٥
المواضع المشروع فيها التكبير
ـــ إذا رقى الصفا والمروة ٣٤
ـــ إذا ركب الدابّة ٣٤
ـــ إذا علا شرفا ٣٤
ـــ حال ارتفاع العبد ٣٤
ـــ حيث يقصد الإعلان كالأذان ٣٤
ـــ فى الأعياد ٣٤
ـــ فى الأماكن العالية ٣٤

## التوحيد :

تضمّن حديث الدعاء عند القيام من الليل الخبر عن توحيد العبد ٢٢
كون التسمية عند الذبح من شعائر التوحيد ٢٦
كون التوحيد والذكر باقيين فى الجنّة يلهمهما أهل الجنّة كما يلهم الناس النفس ٣٦
كون الحمد والتوحيد فى خطاب الخلق ٣٥
كون الحمد والتوحيد فى سؤال الخالق ٣٥
كون ﴿قل يا أيّها الكافرون﴾ إنشاءً خبرٍ عن توحيد الربّ ٢١
كون قوله ﴿إيّاك نعبد وإيّاك نستعين﴾ توحيداً ٢٥

## الثناء ، المُثنى :

اختلاف العلماء فى وجوب أذكار الصلوة من جنس الثناء كالاستفتاح ١٩
أدلّة فضل جنس الثناء على جنس الدعاء ١١، ١٢، ١٣، ١٩
اشتمال ثناء المشركين على الشرك ١٢
اشتمال ثناء النصارى على الشرك ١٢
اشتمال قوله «الله أكبر كبيرا إلخ» على الثناء على الله ٢٨
اشتمال قوله «سبحانك اللّهمّ وبحمدك إلخ» على الثناء على الله ١١، ٢٨

إيجاب الثناء فى التشهّد والركوع والسجود ٨
تضمّن الثناء حصول المطلوب بدون ذكره ١٠
حصول مقصود السائل للمثنى مع اشتغاله بالثناء ١٥
كون إضافة نوع الثناء إلى الله ٨
كون أعلى أنواع الاستفتاح والأذكار ما كان ثناء على الله ٢، ٢٨
كون بعض الثناء يقرّ به الكفّار ١٢
كون ترتيب أذكار الركوع والسجود بتقديم الثناء ثم الإخبار ثم الدعاء متّفقًا عليه ٣٠
كون تشهّد الصلوة ثناء على الحقّ شرع فيه التشهّد ٢٤
كون الثناء أحبّ إلى المثنى من مطالب السائلين ١٨
كون الثناء شرع مجرّداً ٩
كون الثناء متضمّنا لمقصود الدعاء ١٠، ١٨
كون الثناء المحض لا يشهد فيه المثنى إلّا الله تعالى ٢٢
كون الثناء المشروع يتضمّن الإيمان بالله ١٢
كون الثناء المشروع يختصّ به المؤمن دون الكافر ١١
كون الثناء المشروع يستلزم الإيمان بالله ١١
كون جنس الثناء أفضل من جنس الإخبار ٢٠
كون جنس الثناء أفضل من جنس الدعاء ١٢، ١٨
كون المثنى ذاكرًا لنفس محبوب الحقّ ١٤، ١٨
كون المثنى يحصل له مقصود السائل، وإنّما يتمّ ذلك لمن حصل إيمانه ١٨
كون اليهود والنصارى ليس فى عباداتهم ثناء إلّا بعض المأثور عن الأنبياء، وهو كثناء أهل الإيمان ١٢
مشروعيّة الاقتصار على الثناء فى الاعتدال ٩
مطلوب المثنى معرفة الله ومحبّته وعبادته ١٤

## الحمد :

إيجاب الصلوة على النبيّ (ص) مع الحمد فى الخطبة ٢٣
تقديم الحمد فى الخطبة على التشهّد ٢٥
تقديم الحمد فى الفاتحة على التوحيد بقوله ﴿إيّاك نعبد وإيّاك نستعين﴾ ٢٥
حديث «أسألك بأنّ لك الحمد إلخ» ١٠
حديث «إنّ الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها إلخ» ٣٧
حديث «كلّ أمر ذى بال لا يبدأ فيه بـ «الحمد لله إلخ» ٢٥، ٢٧
حديث «يلهم أهل الجنّة التسبيح والتحميد إلخ» (تعليق) ٣٦
حصول مطلوب السائل بالاعتراف بكونه تعالى مستحقًّا للحمد ١٠
دليل كون الحمد يختم به لقوله تعالى ﴿وقضى بينهم بالحقّ وقيل الحمد لله ـ الأية﴾ وقوله ﴿وآخر دعواهم أن الحمد لله ربّ العالمين﴾ ٣٧
سنّيّة افتتاح جميع الخطب بالحمد دون غيره ٢٧
كون آدم لمّا خلق عطس وقال «الحمد لله ربّ العالمين» فقال الله «يرحمك ربّك» ٣٥
كون أوّل ما سمع آدم من الله الرحمة ٣٥
كون الحمد أوّل ما أنطق الله به آدم ٣٥
كون الحمد يتبعه التسبيح ٢٧
كون الحمد قبل السؤال ٣
كون «الحمد لله» له الابتداء ٢٥، ٣٥
كون «الحمد لله» والتشهّد لا بدّ منهما فى الخطبة ٢٧
كون الحمد مفتاح مناجاة الربّ ومخاطبة العباد ٣٤
كون الحمد والتوحيد مقدّما فى خطاب الخلق ٣٥
كون الحمد والتوحيد مقدّما فى سؤال الخالق ٣٥
كون الحمد والثناء أحبّ إلى المؤمن من مطالب السائلين ١٨
كون الخطب تفتتح بالحمد ٢٧، ٣٤

كون خطب النبيّ (ص) تفتتح بالحمد ٢٥
كون السنّة لمن أكل وشرب أن يحمد الله ٣٧
كون الشهادتين مقرونة بالحمد والتكبير ٣٥
كون الصلوة تفتتح بالجهر بكلمة «الحمد» دون البسملة عند الجمهور ٢٥
كون الصلوة تفتتح بالحمد ٢٥، ٣٤
كون الصلوة تفتتح بسورة الحمد عند المسلمين كلّهم ٢٥
كون الفاتحة افتتحت بالحمد والرحمة ٣٥
وجوه تقديم الحمد على العبادة المتضمّنة فى التشهّد
ـ كون الحمد أوسع العلوم الإلهيّة ٣٦
ـ كون الحمد باقياً فى الجنّة لقوله ﴿وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾ ٣٦
ـ كون الحمد والتوحيد والذكر من جنس الأقوال ليست من العبادات العمليّة ٣٦
ـ كون الحمد يفتتح به ويختم به ٣٧
ـ كون الحمد يكون من الله ومن الخلق ٣٦
ـ كون الربّ تعالى يحمد نفسه ولا يعبد نفسه ٣٦
ـ كون العبادة بالسجود ونحوه تكليفاً على العبد فى الدنيا فقط ٣٦

## الخطبة، الخطب:

استدلال المصنّف على افتتاح خطب العيد والاستسقاء بالحمد بحديث «كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بالحمد إلخ» ٢٧
بيان أخذ الفقهاء بقول عبيد الله بن عتبة فى افتتاح خطبة العيد بالتكبير ٢٧
بيان ترتيب الخطب بتقديم الثناء ثم الشهادتين ثم خطاب الناس بقوله «أمّا بعد» ٣٥
تقديم الحمد فى الخطب على التشهّد ٢٥
ثلاثة أقوال فى افتتاح خطبة الاستسقاء
ـ القول بافتتاحها بالاستغفار ٢٧
ـ القول بافتتاحها بالتكبير ٢٧
ـ القول بافتتاحها بالحمد ٢٧
حديث «كلّ خطبة ليس فيها تشهّد إلخ» ٢٣
ذكر من أوجب ذكر النبيّ (ص) فى الخطبة إمّا بالصلوة وإمّا بالتشهّد ٢٢
ذكر من أوجب مع الحمد ذكر النبيّ (ص) فى الخطبة بالصلوة عليه ٢٣
عدم النقل عن النبيّ (ص) افتتاح خطبه بغير الحمد ٢٧
قول عبيد الله بن عتبة فى افتتاح خطبة العيد بالتكبير ٢٧
كون افتتاح الخطب بالبسملة وإن لم تكن قرآنا ٢٦
كون البسملة لا يجهر بها فى الخطب ٢٦
كون التشهّد خطبة الصلوة ٢٣
كون التشهّد فى الخطب بعد افتتاحها بالحمد والثناء ٣٥
كون «الحمد لله» والتشهّد لا بدّ منهما فى الخطبة ٢٧
كون الحمد والتوحيد مقدما فى خطاب الخالق ٣٥
كون الخطبة خطابا مع الناس مشروعا فيها التشهّد ٢٤
كون خطب الجمعة والاستسقاء والعيد والحجّ وغيرها كلّها تفتتح بالحمد ٢٧
كون خطب النبيّ (ص) تفتتح بالحمد ٢٥، ٢٦، ٢٧
كون الشهادتين خاتمة الثناء فى الأذان والخطب ٢٥
كون الشهادتين ركناً فى الخطب ٢٣
كون الصواب إيجاب ذكر النبيّ (ص) فى الخطبة بالتشهّد ٢٣

## الدعاء :

آيات وصف الكفّار بتضرّعهم إلى الله عند الحاجة ثم نسيانهم ذلك بعد قضائها ١٦
أدلّة فضل جنس الثناء على جنس الدعاء ١١، ١٢، ١٨، ١٩
أكثر الأدعية النبويّة فى آخر الصلوة ٥
إيجاب الدعاء بعد التشهّد ٩
تضمّن قوله «وجّهت وجهى إلخ» الدعاء والإخبار ٢٩
تفسير قوله {نسى ما كان يدعوا إليه} ١٦-١٧
حديث آداب الدعاء ٤
حديث أجوب الدعاء جوف الليل الآخر ودبر الصلوة ٦
حديث «أسألك بأنّ لك الحمد إلخ» ١٠
حديث «أفضل الدعاء الحمد لله» ١٠
حديث «أفضل ما قلت أنا والنبيّون إلخ» ٣
حديث تلبية المشركين «... إلّا شريكا هو لك» ١٢
حديث «ثم يتخيّر العبد من الدعاء أعجبه إليه» ٤، ٣٥
حديث دعاء الاعتدال «اللّهمّ باعد بينى إلخ» ٧
حديث دعاء الاعتدال «فإذا قال سمع الله لمن حمده فقولوا ربّنا ولك الحمد» ٧، ١١
حديث دعاء السجود «لك سجدت إلخ» ١٩، ٣٠
حديث دعاء ليلة القدر «اللّهمّ إنّك عفوّ إلخ» ١٠-١١
حديث دعاء المكروب «لا إله إلّا الله العظيم الحليم إلخ» ١١
حديث طلب إعانة الله على ذكره وشكره وحسن عبادته ١٤، ١٨
حديث «عجّل هذا» ٤، ٢٤
حديث القول مثل قول المؤذّن ١٢
حديث ما يقال عند العطس وتشميت العاطس ٣٥
دعاء الاستعاذة من أربع بعد التشهّد ٩
دعاء الاستفتاح بقوله «اللّهمّ باعد بينى وبين خطاياى إلخ» ١١، ٣٠
دعاء الاستفتاح بقوله «سبحانك اللّهمّ وبحمدك إلخ» ١١
دعاء الاستفتاح بقوله «وجّهت وجهى إلخ» و «إنّ صلاتى ونسكى إلخ» ١٩
دعاء التشهّد «التحيّات لله إلخ» ١١
الدعاء الواجب هو المعيّن ٥
دعاء يوم عرفة ٣
شدّة اضطرار العبد إلى هداية الصراط المستقيم ٣٨
عدم وجوب جنس الدعاء من أذكار الصلوة مفرداً ٩، ١٩
فضل الذكر على الدعاء ١٣
قول أيّوب (ع) {مسّنى الضرّ-الآية} ١٠
قول بعض السلف «لقد بورك لك فى حاجة إلخ» ١٥
قول بعضهم «إنّه ليكون لى إلى الله حاجة فأدعوه فيفتح لى من باب معرفته إلخ» ١٥
كون الإخبار أفضل من الدعاء ودون الثناء ٢٠، ٣٠
كون انتفاع بعض الناس بالدعاء لبعض حاله أكمل ١٨
كون انتفاع المهتمّ بطلب الرزق والنصر بالدعاء أكثر ١٨
كون الاهتمام بجلب المنفعة ودفع المضرّة صارفا للداعى عن غيره ١٥
كون ترتيب أذكار الركوع والسجود بتقديم الثناء ثم الإخبار ثم الدعاء متّفقا عليه ٣٠
كون الثناء متضمّنا لمقصود الدعاء ١٠

كون دعاء أمّ القرآن (اهدنا الصراط المستقيم - الآيات) دعاء راتبا فرضا متكرّرا بتكرّر الصلوات ٣٨
كون دعاء (اهدنا الصراط المستقيم) جامعا لكلّ مطلوب من حصول كلّ منفعة ودفع كلّ مضرّة ٤٣
كون دعاء (اهدنا الصراط المستقيم) فرضا على العباد ٤٢
كون الدعاء جائزا فى الصلوة ٥
كون الدعاء دبر الصلوة أجوب ٦
كون الدعاء لا يستلزم الإيمان بالله ١١
كون الدعاء لم يشرع إلّا مع الثناء ٩
كون الدعاء لم يشرع فى القعود قبل التشهّد ٤
كون الدعاء للنبيّ (ص) مقدّماً على الدعاء لغيره ٢٤
كون الدعاء يتضمّن من معرفة الله ما هو أنفع للداعى من مطلوبه ١٥
كون الصلوة على النبيّ (ص) شرعت مع الدعاء ٢٤
كون الصلوة على النبيّ (ص) مقدّمًا على الدعاء إذا دعا ٢٤
كون الصلوة على النبيّ (ص) من جنس الدعاء وهو أولى بالمؤمنين من أنفسهم ٢٤
كون القراءة أفضل من الذكر والدعاء ١٣، ١٨
كون المؤمن لا يترك الإقبال على الله بعد قضاء حاجته ١٧
كون نفس الداعى مشتغلة بحاجته عن غيرها ١٥
كيف تضمّن دعاء (اهدنا الصراط المستقيم) حصول الرزق والنصر ٤٢.
لِمَ كان دعاء (اهدنا الصراط المستقيم) فرضًا على العبد ٤٣
ما يقول من تعارّ من الليل ٣
وجوب دعاء الفاتحة بعد الثناء ٩

## الذكر، الأذكار:

آية الغاية من الخلق (وما خلقت الجنّ والإنس - الآية) ١٤
أدنى أنواع الأذكار دعاء العبد ٢
أفضل أنواع الأذكار الثناء على الله ٢
أفضل أنواع الذكر ما كان من جنس سورة الإخلاص وآية الكرسىّ ٢
أنواع الأذكار الثلاثة ٢، ١٩، ٢٢
إيجاب أذكار الصلوة عند الأئمّة ٨، ١٩
تقديم الذكر على الدعاء والسؤال ٢
حديث «أفضل الذكر لا إله إلّا الله» ١٠
حديث «أفضل الكلام بعد القرآن أربع إلخ» ٩، ٢٠، ٣٢
حديث ذكر «اللّهمّ لك الحمد أنت ربّ السموات والأرض إلخ» ٢١
حديث الذكر الجامع لأنواع الذكر الثلاثة ٢١، ٢٢
حديث فضل «سبحان الله وبحمده» ٣٢
حديث «من شغله ذكرى عن مسألتى إلخ» ٢، ١٣
حديث «من شغله قراءة القرآن عن ذكرى ومسألتى إلخ» ١٣
السؤال بعد الذكر المحض ٢
فضل الذكر على الدعاء ١٣
فضل القراءة على الذكر ١٣
كون ابتداء الامتثال بقوله (وسبّح بحمد ربّك) بقول المصلّى «سبحانك اللّهمّ إلخ» أولى ٣٢
كون الاستفتاح بـ «سبحانك اللّهمّ إلخ» امتثالا لأمره تعالى (وسبّح بحمد ربّك) ٣٢
كون ترتيب أذكار الركوع والسجود بتقديم الثناء ثم الإخبار ثم الدعاء متّفقا عليه ٣٠

كون التوحيد والذكر باقيَين فى الجنّة يلهمهما أهل الجنّة كما يلهم الناس النفس ٣٦
كون التوحيد والذكر من جنس الأقوال ليست من العبادات العمليّة كالسجود وغيره ٣٦
كون حديث «اللّهمّ باعد» أصحّ روايةً من حديث «سبحانك اللّهمّ» لا يوجب فضل الذكر الأوّل على الآخر ٣١
كون الذكر أحبّ إلى المؤمن من مطالب السائلين ١٨
كون ذكره تعالى بأسمائه وصفاته مطلوبًا لنفسه ١٤
كون ذكره تعالى هو الغاية التى خُلق لها الخلق ١٤
كون الذكر فى الركوع والسجود والاعتدال أفضل ٤
كون الذكر المحض لا يشاب بذكر الإنسان ٢٢
كون الذكر والتسبيح فى الركوع والسجود أفضل من خبر العبد ٣٠
كون القراءة أفضل من الذكر والدعاء ١٨
كون {قل هو الله أحد} محض ذكر الله ٢٢
كون مجرّد ذكر الله أفضل ممّا ذكر فيه الخلق ٢٢
كون مجرّد صحّة إسناد بعض الأذكار لا يستلزم فضله على غيره ٣١، ٣٢
لا بدّ فى ابتداء السلوك من ذكر الإنسان ٢٢
ليس إيجاب أذكار الصلوة من مفردات أحمد ٩
موافقة أوّل استفتاح «سبحانك اللّهمّ وبحمدك إلخ» بأفضل الكلام «سبحان الله وبحمده» ٣٢
النوع المتوسّط الإخبار عن العبادة ٢، ١٩
وجوب فضل الذكر على المسألة ٦

## الذنوب :

كون تارك المأمور بعد قضاء حاجته من أهل الذنوب ١٧

## الرزق والنصر :

كون حاجة العباد إلى الهدى أعظم من حاجتهم إلى الرزق والنصر ٤٢
كون دعاء {اهدنا الصراط المستقيم} يتضمّن الرزق والنصر ٤٢
كون الهدى التامّ يتضمّن حصول الرزق والنصر ٤٢

## الركوع والسجود :

حديث «أقرب ما يكون العبد من ربّه وهو ساجد» ٥
حديث «إنّى نُهيت أن أقرأ القرآن راكعًا أو ساجدًا» ٦
حديث دعاء الركوع والسجود «لك ركعت» و «لك سجدت إلخ» ١٩، ٣٠
عدم مشروعيّة الاقتصار على الدعاء فيهما ٩
كون ترتيب أذكار الركوع والسجود بتقديم الثناء ثم الإخبار ثم الدعاء متّفقا عليه ٣٠
كون الذكر والتسبيح فى الركوع والسجود أفضل من خبر العبد ٣٠
كون فضل الفاتحة على غيرها من الكلام أعظم من فضل الركوع والسجود على سائر أفعال الخضوع ٤٣
مشروعيّة الاقتصار على التسبيح فيهما ٩

## السنّة ، السنن :

إطلاق السنّة على ما لا يجوز تركه عند المالكيّة ٩

كون افتتاح الصلوة بسورة «الحمد» سنّة متواترة ٢٥
كون بعض السنن واجبة عند المالكيّة ٩
كون السنّة لمن أكل وشرب أن يحمد الله ٣٧

## السؤال، السائل، المسألة:

إذا كان مطلوب السائل ما هو محبوب الربّ فهو يدوم ١٨
إضافة نوع السؤال إلى العبد ٨
تضمّن قول أيّوب (ع) ﴿مسّنى الضرّ - الآية﴾ سؤال الرحمة ١٠
حديث «من شغله قراءة القرآن عن ذكرى ومسألتى إلخ» ١٣
حصول مقصود السائل للمثنى مع اشتغاله بالثناء ١٥
ذمّ الكفّار بإعراضهم عن الله بعد حصول مرادهم منه ١٥
ذمّ الله من لم يطلب إلّا الدنيا فى قوله ﴿فمن الناس من يقول ربّنا آتنا فى الدنيا - الآية﴾ ١٨
سؤال الرزق والعافية يشترك فيه المؤمن والكافر ١١
سؤال الله التوبة والإعانة على ذكره وشكره وحسن عبادته ١٨
سؤال الله الرزق والنصر ١٨
كون الحاصل للسائل من محبوب الربّ قد يدوم ١٨
كون الحاصل للسائل من محبوب الرب لا يدوم غالبا ١٨
كون الحمد قبل السؤال ٣
كون الحمد والتوحيد مقدّما فى سؤال الخالق ٣٥
كون السؤال بعد الذكر المحض ٢
كون السؤال وسيلة إلى حصول الغاية المقصودة ١٤
كون السائل إن حصل له محبوب الربّ فهو بالعرض ١٨
كون السائل يبرد إذا حصل سؤله ١٥
كون السائل يريد مطلوبه من الله وإن كان محبوبا لله ١٤، ١٨
كون السائل يعرض عن الله إذا حصل مراده ١٥
كون الكفّار يسئلون الله فيعطيهم ١١

## الشرك:

ابتلاء الناس فى الشرك الأكبر من حيث لا يعلمون ١٧
كون تارك المأمور بعد قضاء حاجته من أهل الشرك الأصغر ١٧
كون الشرك الأصغر شركا فى الربوبيّة أو فى الإلهيّة ١٧
كون الشرك الأصغر يبتلى به غالب الخلق ١٧

## الشفاعة:

حديث الشفاعة ٣

## الصراط المستقيم:

تعريف جامع للصراط المستقيم عن العلّامة ابن القيّم (تعليق) ٤١
كون الإنسان يخرج بجهله وظلمه عن الصراط المستقيم إن لم يحصل له العلم المفصّل والعدل المفصّل ٤٠
كون تفسير الصراط المستقيم بالقرآن، والإسلام، وطريق العبوديّة، حقّا ٤١
كون حاجة الإنسان إلى هداية الصراط المستقيم ضروريّة فى سعادته ونجاته بخلاف الحاجة إلى الرزق والنصر ٤١
كون دعاء أمّ القرآن هو طلب هداية الصراط المستقيم ٣٨

كون الصراط المستقيم موصوفًا بالقرآن، والإسلام، وطريق العبوديّة، وبغير ذلك ٤١
كون المحروم من هداية الصراط المستقيم إمّا من المغضوب عليهم وإمّا من الضالّين ٣٨
كونه لا نجاة للعبد من العذاب ولا وصول إلى السعادة إلّا بالهداية إلى الصراط المستقيم ٣٨
لمّا أخبر سبحانه فى سورة الفتح بضرورة هداية نفس النبيّ (ص) إلى الصراط المستقيم فكيف حال غيره فى ذلك ٤١
معنى «الصراط المستقيم» فعل المأمور واجتناب المحظور من علم وعمل فى كلّ وقت ٣٩

## الصلوة :

اختلاف العلماء فى وجوب الثناء فى الصلاة ١٩
اختلاف وجوب دعاء الاستفتاح فى الصلوة ١٩
افتتاح الصلوة بالجهر بكلمة «الحمد» عند الجمهور ٢٥
إيجاب التحميد فى الصلوة عند أحمد وأصحابه ١٩
إيجاب التسبيح فى الركوع والسجود عند أحمد وأصحابه ١٩
إيجاب التسميع فى الصلوة عند أحمد وأصحابه ١٩
إيجاب تكبيرة الانتقال عند مالك وأحمد وأصحابه ٨، ١٩
حديث «قسمتُ الصلوة بينى وبين عبدى إلخ» ٨، ٢٦
حديث كون الصلوة وضعت على التكبير إذا علا والتسبيح إذا انخفض ٣٤
فضل الصلوة على قراءة القرآن ١٣
فضيلة القراءة على الصلوة وقت النهى مطلقا ١٣
كون التشهّد خطبة الصلوة ٢٣
كون الشهادتين ركنًا فى خطبة الصلوة ٢٣
كون الصلوة والقراءة عملا من الأعمال فافتتحت بالتسمية ٢٩
كونه تعالى أمر بالتسبيح بحمده وعبّر بذلك عن الصلوة فى قوله ﴿وسبّح بحمد ربّك- الآية﴾ ٣٢
وجوب دعاء الفاتحة بعد الثناء فى الصلوة ٩

## الصلوة على النبيّ (ص) :

ذكر من أوجب ذكر النبيّ (ص) فى الخطبة إمّا بالصلوة عليه وإمّا بالتشهّد ٢٣
ذكر من أوجب ذكر النبيّ (ص) فى الخطبة بالصلوة عليه ٢٣
كون السلام على النبيّ (ص) مقدّمًا على السلام على غيره ٢٤
كون الصلوة على النبيّ (ص) شرعت مع الدعاء ٢٤
كون الصلوة على النبيّ (ص) مقدّمًا على الدعاء إذا دعا ٢٤
كون الصلوة على النبيّ (ص) من جنس الدعاء ٢٤

## الطاعة والمعصية :

كون كلّ عبد عند القدريّة معه ما يحصل به الطاعة والمعصية ٣٩

## العبادة، العبوديّة :

تفسير الصراط المستقيم بطريق العبوديّة ٤١
قيام الأبرار بالواجب من العبادة فقط ١٧
قيام المقرّبين بالواجب والمستحبّ من العبادة ١٧
كون الأذان ذكر الله يقصد به الإعلام بوقت العبادة وفعلها ٢٤
كون أهل الجنّة يُلهمون الذكر فى الجنّة بخلاف العبادات العمليّة ٣٦
كون الداعى قد يحصل له بالدعاء من عبادة الله ١٥

كون العبادة بالسجود ونحوه تكليفاً على العبد فى الدنيا فقط ٣٦
كون العبادة المحضة لا يدخل فيها ذكر الإنسان ٢٧
كون العبادة هى الغاية التى خُلق لها الخلق ١٤
كون العبوديّة الحاصلة للداعى أنفع له من مطلوبه ١٥
لا بدّ من عبادة المؤمن لله تعالى بعد قضاء حاجته ١٧

## الفاتحة، سورة الحمد، أمّ القرآن:

الأمر بالدعاء المعيّن فى الفاتحة ٥
تقديم الحمد على التوحيد فى الفاتحة ٢٥
تقديم ذكر المقصود على ذكر الوسيلة فى الفاتحة ١٤
جمع قوله ﴿إيّاك نعبد وإيّاك نستعين﴾ الغاية والوسيلة ١٤
حاجة سالك الصراط المستقيم إلى خلق العلم والإرادة فى قلبه فى جميع المأمورات والمنهيّات فى أوقاتها ٣٩، ٤٠
حديث «إذا قال العبد ﴿الحمد لله ربّ العالمين﴾ قال الله «حمدنى عبدى»» ٨، ٣٦
حديث «وجوب قراءة الفاتحة فى كلّ ركعة» ٨
كون افتتاح الصلوة بسورة الحمد سنّة متواترة وواجباً عند المسلمين كلّهم ٢٥
كون أوّل الفاتحة ﴿الحمد لله﴾ وآخر ما للربّ ﴿إيّاك نعبد﴾ بمعنى التشهّد ٣٥
كون «الحمد لله» مقصوداً لنفسه والتسمية لأجله ٢٦
كون دعاء أمّ القرآن ﴿اهدنا الصراط المستقيم - الآيات﴾ دعاء راتباً فرضاً متكرّراً بتكرّر الصلوات ٣٨
كون دعاء أمّ القرآن هو طلب هداية الصراط المستقيم ٣٨
كون العبد مضطرّاً دائماً إلى مقصود دعاء أمّ القرآن ٣٨
كون الفاتحة افتتحت بالحمد والرحمة ٣٥
كون الفاتحة لا يقوم مقامها غيرها أصلا ٤٣
كون فضل الفاتحة على غيرها من الكلام أعظم من فضل الركوع والسجود على سائر أفعال الخضوع ٤٣
كون نصف الفاتحة ثناءً ونصفها دعاءً ٢
وجه الجهر بـ «الحمد لله» والإخفاء بالتسمية ٢٦

## الفاضل والمفضول:

كون مجرّد صحّة إسناد بعض الأذكار لا يستلزم فضله على غيره ٣٢
كون المفضول قد يكون أحياناً أفضل ١٣

## القدريّة:

عقيدة القدريّة فى عدم افتقار العبد فى حصول الاهتداء ٣١، ٣٩
لا فرق عندهم بين المؤمن والكافر فى حصول الاهتداء ٣٩

## القرآن:

تفسير «الصراط المستقيم» بالقرآن ٤١
حديث «أفضل الكلام بعد القرآن أربع» ٦، ٢٠، ٢٢
عدل ﴿قل هو الله أحد﴾ ثلث القرآن ٢، ٢٢
فضل ﴿قل هو الله أحد﴾ على ﴿قل يا أيّها الكافرون﴾ ٢١
كون افتتاح الخطب بالبسملة وإن لم تكن قرآنا ٢٦
كون البسملة من القرآن ٢٦

كون (قل هو الله أحد) أمرا بقول ما هو صفة الربّ ٢١، ٢٢
كون (قل يا أيّها الكافرون) أمرا بقول ما هو إنشاء الخبر عن توحيد الربّ ٢١
كون قوله «تبارك اسمك وتعالى جدّك» من القرآن ٢٨-٢٩

## القراءة، القارئ:

حديث «من شغله قراءة القرآن عن ذكرى ومسألتى إلخ» ١٣
فضل القراءة على الذكر ١٣
فضل القراءة على الذكر والسؤال والدعاء ١٣، ١٨
فضيلة القراءة وقت النهى على الصلوة مطلقاً ١٣
قول القارئ «بسم الله» معناه «باسم الله أقرأ» ٢٥
كون الصلوة والقراءة عملا من الأعمال فافتتحت بالتسمية ٢٦

## الكتب:

الإفصاح لابن هبيرة ٣٠
الكواكب الدراري في ترتيب مسند الإمام أحمد على أبواب البخاريّ ١، ٤٤

## معرفة الله ومحبّته:

كون الداعى قد يحصل له بالدعاء من معرفة الله ومحبّته ١٥
كون معرفة الله الحاصلة للداعى أنفع له من مطلوبه ١٥

## المقاصد والوسائل:

تقديم المقاصد في القصد والقول على الوسائل ١٤
كون «الحمد لله» مقصوداً لنفسه والتسمية وسيلة إليه ٢٦

## الهداية، الاهتداء:

إيراد القائل بأنّه لا حاجة للمهتدى إلى تكرار طلب الهداية بقوله (اهدنا الصراط المستقيم) والجواب عنه ٣٩
تخطئة من أجاب بأنّ المطلوب من طلب الهداية دوام الهدى ٣٩
حاجة العبد إلى دوام الهداية إلى العلم المفصّل والإرادة المفصّلة في كلّ وقت لا في وقت واحد فقط ٤٠
حصول هدى البيان عن الرسول في كون القرآن والإسلام والرسول حقّا ٤٠
زعم القدريّة أنّ العبد لا يفتقر في حصول الاهتداء بل كلّ عبد عندهم فمعه ما يحصل به الطاعة والمعصية ٣٨-٣٩
غلبة الشبهات والشهوات على أكثر النفوس ٤٠
كون الإنسان سعيداً بعد الموت إن كان من أهل الهداية ٤١، ٤٢
كون الإنسان يموت شهيداً إذا قتل إن كان من أهل الهداية فيكون القتل من تمام النعمة عليه ٤٢
كون جزئيّات الدين تحار في كثير منها أكثر عقول الخلق ٤٠
كون حاجة العباد إلى الهدى أعظم من حاجتهم إلى الرزق والنصر ٤٢
كون العبد مفتقراً دائما إلى هداية الصراط المستقيم ٣٨، ٣٩
كون القدريّة لا يفرّقون بين المؤمن والكافر في حصول الهداية ٣٩
كون المحروم من هداية الصراط المستقيم إمّا من المغضوب عليهم وإمّا من الضالّين ٣٨
كون المؤمن عند القدريّة ممّن لم يخصّ الله بهدى حصل به الاهتداء ٣٩

كون هداية الصراط المستقيم لا يحصل إلّا بهدى الله لقوله ﴿من يهدي الله فهو المهتد-الآية﴾ ٣٨
كون الهدى التامّ يتضمّن حصول الرزق والنصر ٤٢
كون الهدى المجمل لا يغنى العبد بدون حصول الهدى المفصّل فى فعل الجزئيّات ٤٠
لا نجاة للعبد من العذاب ولا وصول إلى السعادة إلّا بالهداية إلى الصراط المستقيم ٣٨

تمّ الفهرس العامّ

# جواب المصنّف

## عن استفتاح الصلوة هل هو واجب أو مستحبّ

(منقول من فتاويه ج ١، ص ٧٣، كما أشرنا فى مقدّمتنا)

**مسئلة** فى استفتاح الصلوة هل هو واجب أو مستحبّ، وما قول العلماء فى ذلك؟

**الجواب**: الاستفتاح عقب التكبير مسنون عند جمهور الأئمّة، كأبى حنيفة، والشافعىّ، وأحمد، كما ثبت ذلك فى الأحاديث الصحيحة. مثل حديث أبى هريرة المتّفق عليه فى الصحيحين: قال قلت: يا رسول الله، أرأيت سكوتك بين التكبير والقراءة ما تقول؟ قال: أقول «اللّهمّ باعد بينى...» وذكر دعاء. فبيّن أنّ النبىّ صلّى الله عليه وسلم كان يسكت بين التكبير والقراءة سكوتا يدعو فيه.

وقد جاء فى صفته أنواع، وغالبها فى قيام الليل. فمن استفتح بقوله «سبحانك اللّهمّ وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدّك، ولا إله غيرك» فقد أحسن. فإنّه قد ثبت فى صحيح مسلم أنّ عمر كان يجهر فى الصلوة المكتوبة بذلك. وقد رُوى ذلك فى السنن مرفوعًا إلى النبىّ صلّى الله عليه وسلم.

ومن استفتح بقوله «وجّهت وجهى... إلخ» فقد أحسن. فإنّه قد ثبت فى صحيح مسلم أنّ النبىّ صلّى الله عليه وسلم كان يستفتح به. ورُوى أنّ ذلك كان فى الفرض، ورُوى أنّه فى قيام الليل.

ومن جمع بينهما فاستفتح بـ«سبحانك اللّهمّ وبحمدك... إلخ» وبـ«وجّهت وجهى» فقد أحسن. وقد رُوى فى ذلك حديث مرفوع.

والأوّل اختيار أبى حنيفة وأحمد، والثانى اختيار الشافعىّ، والثالث اختيار طائفة من أصحاب أبى حنيفة، ومن أصحاب أحمد، وكلّ ذلك حسن بمنزلة أنواع التشهّدات، وبمنزلة القراآت السبع، التى يقرأ الإنسان منها بما اختار.

وأمّا كونه واجبًا فمذهب الجمهور أنّه مستحبّ وليس بواجب. وهو قول أبى حنيفة، والشافعىّ، وهو المشهور عن أحمد. وفى مذهبه قول آخر يذكره بعضهم- رواية عنه- أنّ الاستفتاح واجب، والله أعلم.